Journal of the Faculty of Arts (JFA)

Volume 79 | Issue 4 Article 7

10-1-2019

The Policy of the Union and Progress (İttihad ve Terakki) Towards the Arabs During the Ottoman Coup

Talal bin Khaled Al-Torifi
Associate Professor of modern and contemporary history Imam Muhammad bin Saud Islamic University Faculty of Social Sciences Department of History and Civilization

Follow this and additional works at: https://jfa.cu.edu.eg/journal

Recommended Citation
Al-Torifi, Talal bin Khaled (2019) "The Policy of the Union and Progress (İttihad ve Terakki) Towards the Arabs During the Ottoman Coup," *Journal of the Faculty of Arts (JFA)*: Vol. 79: Iss. 4, Article 7.
DOI: 10.21608/jarts.2019.81806
Available at: https://jfa.cu.edu.eg/journal/vol79/iss4/7

This Book Review is brought to you for free and open access by Journal of the Faculty of Arts (JFA). It has been accepted for inclusion in Journal of the Faculty of Arts (JFA) by an authorized editor of Journal of the Faculty of Arts (JFA).

سياسة "الاتحاد والترقي" تجاه العرب خلال الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م(*)

د. طلال بن خالد الطريفي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المُشارك
قسم التاريخ والحضارة
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

ملخَّص الدِّرَاسَة

تناولت هذه الدراسة سياسة حكومة الاتحاد والترقي في عصر الدولة العثمانية تجاه العرب خلال الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، هذه السياسة التي اتخذت موقفين مغايرين: داعم قبل الانقلاب ومُعادٍ بعده.

وقد عمل الأتراك الاتحاديون على وضع القومية العربية أحد أهم أهدافهم، من خلال محاولة صهرها في قوميتهم الطورانية، والتمادي أكثر من ذلك في محاولة كسر الكبرياء العربي بمزيدٍ من الإذلال العلني من خلال ما نشرته الجمعية من خلال مؤيديها في الصحف والمجلات، إضافةً إلى الإجراءات الإدارية والثقافية التي آمن العرب بأنها كانت تهدف إلى طمس الهوية العربية.

وتناولت هذه الدراسة سياسة التتريك من خلال التعليم والتخاطب باللغة

(*) **مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد (٧٩) العدد (٧) أكتوبر ٢٠١٩.**

التركية، وفرض ذلك على الولايات العربية بشكلٍ قهري، والإجراءات الإدارية التي عمل عليها الاتحاديون بإقصاء العرب من الوظائف وقصرها على الأتراك.

ثم أبرزت الموقف العربي من هذه السياسة، من خلال نشاطهم بإنشاء الجمعيات التي تهدف صراحةً إلى استقلال الولايات العربية عن الدولة العثمانية، والتكتل العربي النيابي ضد سياسة حكومة الاتحاد والترقي.

الكلمات المفتاحية:

الاتحاد والترقي، الطورانية، القومية العربية، الجمعيات السياسية، الثورة الفرنسية، الدولة العثمانية.

The Policy of the Union and Progress (İttihad ve Terakki) Towards the Arabs During the Ottoman Coup

Dr. Talal bin Khaled Al-Torifi
Associate Professor of modern and contemporary history
Imam Muhammad bin Saud Islamic University
Faculty of Social Sciences
Department of History and Civilization

Abstract

This study dealt with the policy of the government of the Union and the Progress (İttihad ve Terakki) in the era of the Ottoman Empire towards the Arabs during the Ottoman coup in 1326 AH / 1908. This policy took two different attitudes: a supporter before the coup and a hostile after it.

The Federal Turks worked to put Arab nationalism as one of their main objectives by trying to smelt it into their Turanism nationalism, and to go even further in trying to break Arab pride with more public humiliation through what the association published through its supporters in newspapers and magazines, as well as the administrative and cultural procedures that the Arabs believed were aimed at obliterating Arab identity.

This study dealt with the policy of "Tatarik" (a concept that calls for the conversion of people and geographical areas from their

original cultures into Turkish) through education and communication in Turkish, and imposed it on the Arab states compulsively, and the administrative procedures that the federalism has taken by excluding Arabs from jobs and to be limited to the Turks.

Then it highlighted the Arab attitude towards this policy, through their activities by establishing associations that explicitly aim at the independence of the Arab states from the Ottoman state and the Arab parliamentary bloc against the policy of the government of the Union and the Progress (İttihad ve Terakki).

key words:
Union and Progress (İttihad ve Terakki), Turanism, Arab nationalism, political associations, the French Revolution, the Ottoman Empire.

مُقدِّمة:

تُعدّ الدراسات المتعلقة بالقوميَّات في التاريخ من أكثر الموضوعات حساسيَّةً، باعتبار ما يُثار من اختلافات حولها، إذ إنها من المؤثرات التي تحكم أمورًا عدَّة، سواءً سياسية أو اجتماعية أو ثقافية.

وعلى الرغم من أن هذه القوميَّات تحتفظ بخصوصيتها في طرح موضوعاتها ومشكلاتها، إلا أنها استلهمت كثيرًا من تفاصيلها من الحركات القومية الأولى في القارتين الأوربية والأميركية، ومنهما تسرَّبت إلى بقية قارات العالم، لتكون مثالاً حيًّا تحذو حذوه وتعمل وفق تفاصيله التي مرَّ بها في تجربتها الأولى.

وأكثر المتأثرين بالحركات القومية الدولة العثمانية، باعتبار ما كانت تحتويه من تعدُّد قومي وديني وطائفي، إضافة إلى اتساع حدودها الشاسعة التي امتدت بين ثلاث قارات. وعلى الرغم من أن الحركات القومية في الدولة العثمانية يفترض أنها في حساب المنطق أن تنشط لدى القوميات غير التركيَّة؛ إلا أنها شملت الأتراك من خلال قوميتهم الطورانية.

والغريب في الأمر أنه لم يكن هنالك داعٍ إلى استثارة الحس القومي التركي في ظل وجود سيطرة سياسية تركية. غير أننا حين نبحث في خفايا هذه القومية ولماذا استثيرت ونهضت ونشطت؛ سنجد أنها كانت تعيش حالة عُقَدَّة تجاه القومية العربية أو الجنس العربي، باعتبار ما للعرب من دالةٍ على الأتراك، حيث إن البدايات الأولى لهم في الشرق الأوسط والتاريخ الإسلامي؛ كانت باستقدامهم كجنود وتابعين، ومع الوقت أصبحوا قادة حتى أسسوا الدويلات والإمارات المختلفة، وبقيت عُقدة البدايات. خاصةً أنهم حين يبحثون في تراثهم عن مفاصل الحضارة؛ فإنهم سيلحظون أنهم بكل تفاصيلهم ما هُم إلا نتاج للحضارة الإسلامية العربية. لذلك استنهضوا تراثهم بكل أساطيره لصناعة تراث ثقافي لهم يواجهون به الحضارة العربية.

وحين وصل القوميون الأتراك إلى سدَّة الحكم، لم يكن أمامهم سوى أن يحققوا التغلب على الحضارة العربية، من خلال فرض ثقافتهم ولغتهم على العرب في الولايات الخاضعة لهم؛ الأمر الذي أحدث ردَّة فعل لدى العرب، الذين لم تكن السياسة التركية الطورانية تتواءم معهم بعد تولي جميعة الاتحاد والترقي السلطة في الدولة العثمانية بعد الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، الذي كان العرب جزءًا منه.

مشكلة البحث:

تناول مؤلفون كُثر تاريخ الحركة القومية العربية من خلال مؤلفات عدَّة، كذلك من خلال دراسات علميَّة، غير أن أهم فترة في الحركة العربية تكمن في بداياتها الفعلية التي بدأت من خلالها العمل للاستقلال عن الدولة العثمانية، وذلك بعد اللحظات الأولى من الانقلاب العثماني وإعلان الدستور.

ومن أهم مشكلات البحث أن موضوعًا كهذا يحتاج إلى تتبع دقيق ومحاولة إيضاح هذه البدايات الأولى، خاصةً أن كثيرًا من التفاصيل حدث فيها

خلط واضح وتضارب في الآراء بين مؤلفين وكُتَّاب عدَّة، سيَّما أن موضوعًا كهذا يختلف عليه الكثيرون بحسب منطلقاتهم التي ينطلقون منها في رؤيتهم للحركة القومية العربية وسياسة الاتحاد والترقي الطورانية تجاهها بعد تسلمها السلطة.

كما أن الانقسام حول موضوعٍ كهذا يجعل الباحث في حيرةٍ من أمره؛ بما يرد فيه من معلومات متضاربة ومتناقضة في الوقت ذاته تجاه تقييم الأحداث، فمن الباحثين من يرى بأن الحركة العربية القومية ساهمت في إضعاف الدولة العثمانية الإسلامية، يضادهم من يرى بأن العثمانيين ومن بعدهم من الاتحاديين لم يكونوا رحماء تجاه العرب، بل إنهم يحتقرون الجنس العربي، وتمثل ذلك في إجراءات الاتحاديين العنصرية تجاه العرب.

وهنا نجد أنفسنا أمام اتجاهين متناقضين، لا نملك إلا أن نعمل على البحث في تفاصيل الأحداث، لنبين جزءًا من الحقيقة، التي من المنطقي أن تكون مع أحد الطرفين ضد الآخر. وبحسب المنطق أيضًا؛ فإن الحكم التاريخي سيكون على أساس الأحداث ونتائجها، فما قام به الاتحاديون ينم عن روح قومية كارهة لغيرها من الأجناس، وعلى وجه الخصوص تجاه العرب، من خلال سياستهم الإقصائية، ومحاولتهم طمس الهوية العربية، والإغراق في إذلال الجنس العربي وتهميشه.

وبالتالي فإن أهم مشكلات هذا البحث تكمن في كونه سيُبَارَك من فئة، ويُحَارَب من أخرى مناقضة لما جاء فيه. بينما لا يعترف التاريخ بالتوجهات المُسبقة، فلكل حدث تاريخي تفاصيله ومفاصله، التي توضح صورته جليةً، بعيدًا عن الأحكام المُسبقة.

الدراسات السابقة:

الموضوع الذي تناولناه في هذا البحث حظي بتغطية تفاصيله الدقيقة مجموعة من المؤلفات المصدرية في نوعها، خاصةً من خلال مؤلفات الذين عاصروا الأحداث من خلال مذكراتهم الشخصية، أو من خلال مؤلفاتهم التي عايشوا جزءًا كبيرًا من تفاصيلها التاريخية، وأكثر تلك المؤلفات والمصادر تناولت البدايات في سياق الحركة القومية العربية، ولم يتم تناول سياسة الاتحاديين في السنتين أو في الثلاث سنوات التي تلت إعلان الدستور الثاني والتي تنفَّذ فيها الاتحاد والترقي وتسلم السلطة.

وبناءً عليه فلا توجد دراسات تناولت موضوع البحث بشكلٍ مباشر، بينما كل ما يُعدُّ مصدرًا أو مرجعًا من مراجع هذه الدراسة، فهو يدخل ضمن الدراسات السابقة، باعتبار ما فيه من كمٍّ كبير من المعلومات التي أفادت منها الدراسة.

أهداف البحث:

١. بيان حال الولايات العربية خلال حكم الدولة العثمانية قبل وبعد إعلان الدستور والانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.
٢. التعرف على أسباب نشاط الحركات القومية في الدولة العثمانية خلال بدايات القرن العشرين، خاصةً لدى الأتراك والعرب، ومن ثم المواجهة بين القوميتين.
٣. التحقق من إجراءات جمعية الاتحاد والترقي التي قامت بها ضد العرب في ولاياتهم، والتي نتج عنها ردة الفعل العربية والجنوح للاستقلال عن الدولة العثمانية.
٤. الكشف عن أهم النشاطات التي قام بها العرب لمواجهة الحركة الطورانية والإجراءات الاتحادية ضدهم.

٥. إيضاح حقيقة الموقف الاتحادي من العرب من خلال تتبع الإجراءات التي اتخذتها حكومتهم منذ اللحظة الأولى التي تسلموا فيها السلطة.
٦. التعرف على اضطراب الموقف العربي في بداياته تجاه سياسة الاتحاد والترقي، حتى تكشَّفت النوايا الطورانية تجاه العرب.
٧. الكشف عن دور الجمعيات العربية في تاريخ الحركة القومية تجاه الحكومة الاتحادية في الدولة العثمانية.
٨. التعرف على المراحل الأولى لقيام الثورة العربية الكبرى، التي قادت العرب إلى انتخاب الشريف حسين بن علي ممثلاً لهم في وجه الطورانية التركية، كزعامة عربية في مقابل الزعامة التركية.

تساؤلات البحث:

وفي ضوءِ ما فات؛ فإن هذا البحث يسعى إلى الإجابة عن مجموعةٍ من التساؤلات؛ أهمها:

لماذا نشط العرب من خلال إنشاء الجمعيات قبل الانقلاب العثماني، وقبل انكشاف النوايات الحقيقية للطورانيين تجاه العرب؟

وكيف تطورت الأحداث بانضمام المثقفين العرب إلى الاتحاد والترقي قبل سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، ودعمهم لها؟

ما أسباب انقلاب القومية الطورانية على العربية، على الرغم من أن العرب كانوا جزءًا من حركتهم السياسية ضد السلطان عبدالحميد الثاني؟

ما هي مراحل انقلاب الموقف العربي تجاه الدولة العثمانية بعد تسلم الاتحاديين السلطة فيها؟

ما السياسة التي واجه بها الاتحاديون الولايات العربية بعد استئناف نشاط الجمعيات العربية ضد إجراءاتهم؟

فرضيَّات البحث:

ينطلق هذا البحث من مجموعة من الفرضيَّات المهمة، التي يجب أخذها في الاعتبار، أهمها:

- أن العرب كانوا يمثلون نسيجًا مهمًّا واعتباريًّا في تاريخ الدولة العثمانية، وذلك وفق المنطق التاريخي، والتفسير الحقيقي لمكونات الثقافة العثمانية التي كان يجب أن تكون عليها.
- أن الدولة العثمانية لم تكن تنظر للعرب على أساس أنهم مكوِّن ثقافي مهم لها بالدرجة الأولى، بل إنها كانت ترى العرب كقوة حضارية مهمة يجب التواؤم معها وكسبها، وهو الأمر الذي لم يُطَبَّق بالشكل الذي يضمن حالة الرضى العربي، إذ بقيت المسألة بين شدٍّ وجذب، في علاقة متوترة بين الطرفين.
- أن العرب لم تقبل أنفسهم السيطرة التركية السياسية عليهم، خاصةً أنهم دائمًا ما يتذكرون المآسي التي قام بها الترك على امتداد تاريخهم مع العرب في ولاياتهم، سواءً من خلال التاريخ المبكر في ضم مصر والفظائع العثمانية التي قام بها الجنود الأتراك في مصر أو السياسة التعسفية والاستبدادية التي مارسها العثمانيون في بلاد الشام، كذلك ردة الفعل العثمانية الشرسة وغير الإنسانية تجاه الحركات التحررية والسياسية للعرب.
- لم يطمئن العثمانيون للعرب، كما لم يرتح العرب للحكم العثماني، لإحساسهم بأنهم يسعون إلى التفوق القومي أكثر مما يسعون لإيجاد دولة عظيمة تقوم على أسس إسلامية في الدرجة الأولى.
- أن القومية التركية أظهرت جميع إسقاطاتها النفسية بعد وصول الاتحاد والترقي للسلطة، وتبيَّنت النوايا الطورانية تجاه الجنس العربي.

منهج البحث:

بما أن البحث تاريخيٌّ؛ فإن المنهج التاريخي يفرض نفسه في هذه الدراسة في ذكر الوقائع والأحداث التاريخية، وبيانها بشكلٍ يُحاكي منطق التسلسل التاريخي، والاستفادة من النقد التاريخي باستقراء المادة المعروضة، ومن ثم تحليلها ومقارنتها واستنتاج ما يحتاج لبيان عطفًا على ما يمرُّ من معلومات، ولا يظهر بيانه سوى بالمقارنة والاستقراء والتحليل.

حدود الدراسة:

بالنسبة للحدود الزمانية فتنحصر في السنتين الأولى من الانقلاب العثماني ١٣٢٦-١٣٢٧هـ/١٩٠٨-١٩٠٩م، التي تلزم التمهيد لها قبل ذلك في الحديث عن الحركات التحريرية ذات البعث القومي، وبدايات القومية العربية قبل الانقلاب العثماني.

أما الحدود المكانية؛ فهي حدود الدولة العثمانية، خاصةً في الولايات العربية التابعة للدولة العثمانية خلال فترة الدراسة.

محاور البحث:

أولاً: التمهيد: نشوء الحركة القومية في العالم، وفي الولايات العربية خلال القرن التاسع عشر الميلادي.

ثانيًا: الدور السياسي للعرب والأتراك ضد سياسة السلطان عبدالحميد الثاني.

ثالثًا: علاقة "الاتحاد والترقي" بالعرب قبل الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

رابعًا: سياسة "الاتحاد والترقي" تجاه العرب بعد الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.

خامسًا: الموقف العربي من سياسة "الاتحاد والترقي" الطورانية.

سادسًا: الخاتمة: نتائج الدراسة.

مرَّ العالم بمراحلٍ عدَّة تجاه الفكر السياسي خلال العصور التاريخية، ومما تبلوَر فيه خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين/العاشر والحادي عشر الهجريين؛ أن كانت فكرة السِّيادة المُطلقة للدولة ممثلةً بشخص الملك، ودعا المفكرون السياسيون خلال تلك الفترة إلى تكرّيس هذا المفهوم السيَادي المُطلق في القارة الأوربية(١). غير أنه ما أن شارف القرن السابع عشر الميلادي/الحادي عشر الهجري على الانقضاء، حتى استوعبت الشعوب الأوربية أنها لم تعُد بحاجة إلى هذه النظرية السياسية الاستبدادية، فظهر مفهوم سياسي جديد، يتمثل في الفكر المتحرر حتى من قيود السلطة، وكان هذا المفهوم يُتداول بين الكثير من المفكرين والعوام في فرنسا – على وجه الخصوص، باعتبار أنها حاضنة الفكر الأوربي – بقالبٍ أدبيٍّ وتصوير ساخر للسلطوية، ليُكرِّس حرية الفرد في مجتمعه ويرعى حقوقه(٢).

ومع نضوج هذا الفكر الجديد خلال القرن الثامن عشر الميلادي/الثاني عشر الهجري؛ بدأت تتراءى بوادر حركة فكرية ثورية ضد النظام الملكي في فرنسا، بعكس الطابع السائد في بقية الدول الأوربية الأخرى، التي لم تزل تؤمن بالإقطاعيَّة والبورجوازية والاستبداد الملكي. وهذا ما جعل فرنسا تظهر بثوبٍ فكريٍّ سياسيٍّ جديد، في مقابل الفكر الأوربي القديم، وراح الفرنسيون يثيرون دعايتهم الثورية وانتشارهم في أوربا عامة، الأمر الذي كان مقلقًا للملوك فيها، غير أن هذا التخوُّف لم يتبعه أي تغيير من قوة الثورة الفرنسية حين وقعت سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م، لتصبح مصدر قوةٍ لتحريك بقية الشعوب في القارة، حيث توافد الأوربيون إلى فرنسا باعتبارها وطنًا للحرية، وراحوا يروجون للثورة في أوطانهم كما حدث في فرنسا، للقضاء على النظام الاستبدادي(٣).

ومن المنطقي أن نقول بإن الثورة الفرنسية قد أثرت في تغيير المفهوم السياسي العام، ورأت الشعوب المختلفة فيها مثالاً حاضرًا مقابل السلطة

السياسية التي تُلغي الحريات. فخلال العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي، كان هنالك نوع من التململ العام بين الناس، والاضطراب السياسي في أوروبا الذي ظهرت معه بوادر التمرد والمطالبة باستقلال المستعمرات كما حدث في بلجيكا وهولندا، وفي أيرلندا ضد الإنجليز[٤]، ليبدأ معه عصر الثورة الديمقراطية الذي تبلوَر في الثورة الفرنسية، فكانت الأعمق والأكثر أثرًا في العالم[٥]. حتى إن الثورة الفرنسية كانت بمثابة فزَّاعة مخيفة لكل نظام دكتاتوري جاء بعدها، وبالطريقة الساخرة ذاتها التي كان يتناول بها بعض الكتاب الفرنسيين، تم تناول الديكتاتورية العالمية بعد ذلك[٦].

وإذا كانت الثورة الفرنسية قد أسست لفكر مضاد للاستبداد السياسي؛ فإنها أصبحت ترمز لحرية الأوطان والقوميَّات في آنٍ واحد، إذ إن ثمة اختلافًا بين الوطنية والقوميَّة، وكلاهما اتخذا من الثورة مبدأ للخلاص من السلطوية التي تمارسها الحكومات.

هذا على الرغم من أن الوطن يذوب في القومية على الأغلب[٧]، باعتبارها أعم وأوسع في عرقيَّتها أكثر من حصرها في حدود سياسية. كما حدث مع معاناة القوميَّات التي كانت تحكمها الإمبراطوريَّة الألمانية، التي حاولت إذابتها في سلطتها إكراهًا وتقييدًا[٨].

ومنذ أن انتشر فكر الحريَّة في أوربا، بدأ يتسرب للعالم ككل، وراحت القوميَّات تتلقفه، خاصةً تلك التي تعيش تحت سلطة الدولة العثمانية، حتى الأتراك تلقفوه واستقبلوه كما القوميَّات الأخرى، حيث إنهم أرادوا استقدامه للإصلاح السياسي داخل دولتهم باعتبار حدودها السياسية، ولم يتنبهوا أنه أعمق أثرًا لدى القوميَّات التي أنِفَت سلطة العثمانيين الذين أذابوهم في ثقافتهم من خلال تسخيرهم لخدمة قوميتهم التركيَّة، وبعد أن وعى الأتراك لأمر القوميَّات المختلفة في حدودهم؛ وجدوا أنفسهم في مأزقٍ أجبرهم على الالتفات

لقوميتهم التركيَّة مقابل القوميات الخاضعة لهم، برغم وعودهم لغير الأتراك بالمساواة.

وبناءً على ذلك ظهرت القوميَّة الطُّورانية لدى الأتراك، وبدأت بوادرها بعد أن دخلت المحافل الماسونيَّة لحدود الدولة العثمانية سنة ١١٢٩هـ/١٧١٧م، بعد أن أسَّست لها جمعية في إسطنبول مرتبطة بمحفل الشَّرق الأعظم الفرنسي، ثم المحفل الإنجليزي سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م، حتى بلغ عدد المنتمين للماسونية ١٠ آلاف شخص تابعين للمحافل الماسونية في حدود الدولة العثمانية سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م[٩]. وخلال ما كانت الماسونية تغذي الأتراك بروح الثقافة القومية على الطريقة الأوربية؛ تسرَّبت هذه الروح إلى الأجناس الأخرى في الوقت الذي كان فيه الأتراك يتغنون بهذه الثقافة مبشرين بمبادئها لخدمة قوميتهم[١٠].

ومما يتضح أنه بدأ أسلوب جديد للنزاعات الداخلية في الدولة العثمانية، فبعد أن كانت النزاعات تتم على أساس طائفي ديني؛ أصبحت تتم على أساس قومي عرقي شعر معه الأفراد بقوتهم أكثر من قبل[١١]، وفي الوقت الذي كان يتغنى فيه الأتراك بقوميتهم الطورانية؛ انتابهم شعورٌ بالضعف والعُقدة القومية تجاه العرب، على اعتبار أنهم على الرغم من سيادتهم السياسية؛ فإنهم يعون من مبدئهم القومي أن جميع مكوناتهم الثقافية ذات أصل عربي بما فيها الدين والأدب، ويعون في الوقت نفسه أن العرب هم من انتشلوهم من جهلهم وهمجيتهم وضلالهم، كما أنهم وصلوا للسلطة السياسية بفضل العرب الذين سلموهم إياها[١٢].

وعطفًا على هذه العُقدة الطورانية تجاه العرب؛ فإنها تُفسِّر لنا السياسة الإقصائية، والطريقة الوحشية التي تعامل بها الأتراك مع العرب في أوج حالة الصراع بين القوميتين، لذلك فإن الطورانيين تنمروا على العرب بفعل إحساسهم

بالضعف التاريخي. لأنهم يعون جيدًا بأنهم جاءوا من أواسط آسيا في زمن الخلافة العباسية من خلال تزويج بناتهم للخلفاء وتكاثرهم في جيوشها، حتى أصبحوا القومية الإسلامية الثانية بعد العرب(١٣)، وبالتالي يعون جيدًا بأن تاريخهم وثقافتهم مرتبطان بالعرب أكثر من أن يكون لهم أي عمق آخر في ديارهم التي قدموا منها وهم رعاة غنمٍ، أقرب ما تكون حياتهم للحياة الهمجية بكل تفاصيلها البدائية، حتى إنهم عادوا لبعض عاداتهم الأولى بعد أن تولوا السلطة في العالم الإسلامي. وشعورهم بأنهم جزء من نتاج الثقافة العربية يُحدث بينهم حالة من الاستياء، الذي ودُّوا لو أنهم طمسوه من تاريخهم. ولأن تبعيَّة التاريخ التركي للعربي أحدث لديهم إحساسًا بمركب نقصٍ واضح؛ تدافعوا بعد أن تأسست الجمعيات الماسونية في الدولة العثمانية للانتماء إليها، لأن الشعارات التي كانت ترفعها بالحرية والإخاء والمساواة أغرتهم للدرجة التي لم يروا منها سوى الحرية، بتحريرهم من مركبهم وعقدتهم تجاه العرب. يؤكد ذلك ما أشار إليه السلطان عبدالحميد الثاني في مذكراته – إن صحَّت نسبتها إليه – بأن الذين تولوا الحكم بعده رجحوا القومية التركية، وجعلوها في مرتبةٍ أعلى من الغيرة الدينية، ويشير إلى أن ذلك جعل العرب ينفرون منهم(١٤).

ويعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي زمن بروز العثمانيين الجُدد، الذين نادوا بتحديث الدولة على الطريقة الغربية بشرط عدم الإفراط في التغريب، وهندس لهؤلاء العثمانيين الجُدد مجموعة من المفكرين الأتراك، الذين شكلوا معارضةً سياسية تضم مجموعة من موظفي الدولة وأبناء الأسر البارزة في النخب التركية، فأثروا في الصحافة المحلية من خلال الطرح المتحرر من قيود السياسة العثمانية المتمثل بالمطالبة بالحكم الدستوري، حتى قامت الدولة بتعطيل عمل الصحف التي مالت إليهم، وهرب أهم مريدي العثمانيين الجدد إلى خارج حدود الدولة، وفي باريس سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م

تقرر تأسيس جمعية الشبان العثمانيين، التي تهدف إلى إصلاح الدولة وفق ما كانوا ينادون به قبل هروبهم لأوربا، فنجح هؤلاء بالتأثير على الرأي العام، ومن نتاج تأثيرهم أن أُصدرت فتوى بعزل السلطان عبدالعزيز سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م ثم تعيين مراد الخامس وعزله بعد ثلاثة أشهر بحجة اختلاله العقلي، وتعيين عبدالحميد الثاني بشرط إعلان الدستور بعد أن أحاطوه بأهم مفكري العثمانيين الجُدد: محمد نامق كمال (١٢٥٦-١٣٠٦هـ/١٨٤٠-١٨٨٩م)[١٥]، غير أن قوتهم وفرضهم للدستور تلاشى بعد أن انقلب عبدالحميد الثاني عليهم بتعطيل الدستور وتنفيذ سياسته الاستبدادية[١٦].

ومما يبدو أن العثمانيين الجُدد بدأوا بتوزيع نشاطهم من خلال الجمعيات السريَّة في عهد عبدالحميد الثاني، وعلى رأسها جمعية تركيا الفتاة التي اختُلف في تاريخ تأسيسها، وهل هي أساس جمعية الاتحاد والترقي بعد ذلك، أو أن الاتحاد والترقي فرع من فروع تركيا الفتاة، فجميع الأطروحات والتضاربات في الآراء في تأسيس الجمعيتين تركيا الفتاة والاتحاد والترقي؛ تتفق على أن الأخيرة امتداد للأولى.

وبحسب أشهر الآراء؛ فإن تلاميذ مدارس الطب العسكري سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م أسسوا الاتحاد والترقي في سالونيك كفرع لتركيا الفتاة التي كانت لها فروعٌ في أوربا ومركزها باريس، وانضم لفرع سالونيك المتطرفون في مواجهة عبدالحميد الثاني، وأعضاؤه من الضباط المثقفين والمتنفذين في الجيش، الذين كانوا يتلقون نظرياتهم وتوجهاتهم من المركز في باريس، حتى صار لهم انتشار أوسع وأشهر وأشمل من تركيا الفتاة بعد أن لاقى الاتحاديون التشجيع من بريطانيا وفرنسا، حتى إن الماسونية الإيطالية منحتهم محافلها لعقد اجتماعاتهم فيها تضليلاً لجواسيس السلطان عبدالحميد الثاني، فازداد نشاطهم بين ١٣١٩-١٣٢٥هـ/١٩٠٢-١٩٠٧م ضده، وانتشرت أفكارهم في أرجاء الدولة[١٧].

علاقة "الاتحاد والترقي" بالعرب قبل الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م:

المتتبع لنشأة الجمعيات في العالم العربي خلال القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي، سيلحظ أنها سابقة لنشأتها لدى الأتراك، على الرغم من أن هذه الجمعيات لم تؤثر في التحضير للانقلاب العثماني كما فعلت الجمعيات التركية. وتعود نشأة الجمعيات العربية إلى سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م حين نشأت في لبنان فكرة تأسيس جمعية عربية تهتم بالأدب واللغة العربية، ثم تأسست جمعية الآداب والألسن بعدها بست سنوات ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م بمساعدة البعثة التبشيرية الأمريكية، وكان أبرز أعضائها ناصيف اليازجي[١٨] (١٢١٥-١٢٨٨هـ/١٨٠٠-١٨٧١م) وبطرس البستاني[١٩] (١٢٣٤-١٣٠٠هـ/١٨١٩-١٨٨٣م) ، وعلى الرغم من أنها نشأت بهدف أدبي ولغوي إلا أنها انحرفت للجانب السياسي في مناهضة العثمانيين بالقومية العربية[٢٠].

ثم نشأت بعد ذلك الجمعية العلميَّة السوريَّة ١٢٧٤هـ/١٨٥٧م، فجمعية بيروت السريَّة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م التي كانت أكثر وضوحًا في أهدافها باستقلال سوريا ولبنان عن الدولة العثمانية، وجمعية المقاصد الخيرية ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م التي نشأت في سوريا لدعم الروح القومية[٢١]، ويُقال إنها بدعمٍ من والي سوريا حينها مدحت باشا[٢٢] (١٢٣٨-١٣٠١هـ/١٨٢٢-١٨٨٤م). ويرى سليمان البستاني[٢٣] (١٢٧٣-١٣٤٣هـ/١٨٥٦-١٩٢٥م)، أن المقاصد الخيرية تأسست في تاريخٍ لاحق سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م للغرض الخيري والتربوي، في إسعاف الفقراء وتربية الأيتام وإنشاء المدارس والمقاصد النبيلة، وأنكر أنها ذات مقاصد سياسية، واعتبر أن ذلك من الوشاية[٢٤].

كانت أكثر الجمعيات العربية الأولى وضوحًا في نشاطها السياسي؛ جمعية بيروت السريَّة، إذ كانت تعمل على إصدار المنشورات الثورية وتوزعها في شوارع بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا من خلال فروعها، وتتضمن هذه

المنشورات تناول مساوئ العثمانيين، وتدعو العرب إلى الثورة ضد الظلم والاستبداد، وحين تنبهت الدولة العثمانية لنشاط هذه الجمعية ضيقت عليها حتى اضطر أعضاؤها إلى إيقاف نشاطهم سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وهاجر أكثرهم إلى مصر هربًا من البطش العثماني(٢٥). وعلى الرغم من أن هذه الجمعية السريَّة نشأت في ظروف لم تكتمل فيها ملامح الروح القومية العربية، وعملت على إطلاق أولى المحاولات في الاستقلال عن العثمانيين؛ إلا أن بعض الآراء تذهب إلى أن دعوتها انبعثت من إحساس النصارى العرب في الشام بإقصائهم من قبل الدولة، ومعاملتهم بدرجة أقل من غيرهم من العرب المسلمين، وبناءً عليه عزموا على بث الروح القومية، كي يكسبوا المسلمين العرب إلى صفهم باعتبار الرابطة القومية بينهم، فلجأوا إلى إدخال بعض الوجهاء من العرب المسلمين إلى المحافل الماسونية في بيروت، غير أن اختلافًا بينهم في مبدأ طرد الأتراك كهدف أعلى للجمعية كان ماثلاً في تاريخ الجمعية، لذلك حين انحلت الجمعية أحرقت وثائقها حتى لا تبرز المشكلات التي كانت بين الأعضاء، ولا تستدل بها الدولة على أعضاء الجمعية(٢٦). غير أن أبرز الأعضاء عُرفوا بعد انتقالهم إلى القاهرة، خاصةً بعد أن أسسوا صحيفة المقطم ومجلة المقتطف(٢٧).

ولو أننا حاولنا الربط بين أهداف الجمعيات التركية والعربية في نشأتها الأولى؛ سنجد أنها متفقة على مبدأ رفض السياسة الاستبدادية للدولة العثمانية، خاصةً بعد أن تولى عبدالحميد الثاني السلطنة، عندما قام بتنفيذ سياسته الاستبدادية تجاه معارضيه من الترك والعرب. وهو بذلك عمَّق من منطقيَّة هذه الجمعيات في الطرفين من خلال نشاطها ضده شخصيًّا وضد الدولة بشكلٍ عام.

وخير وصفٍ لسياسة عبدالحميد التي عمقَّت عداء القوميتين العربية

والتركية تجاهه، ما جاء في كتاب الفرنسية مدام بيرت جورج جوليس[٢٨] بقولها: "لم تكن تركيا القديمة متمثلة إلا في ذلك السلطان الضعيف العنيف المتقلب بحسب مقتضيات الأحوال عبدالحميد الظالم المستبد الذي لا كفاءة لديه ولا حنكة سياسية عنده والمتشبع بالقسوة والجبروت والذي كانت تتصرف به تمام التصرف امرأة هي أخته الأميرة عديلة زوجة الداماد فريد الذي كان صدرًا أعظم في ذلك العهد"[٢٩]. وسياسة عبدالحميد الثاني لعبت دروها في القطيعة بينه والقوميتين العربية والتركية من خلال عدم قدرته على مواجهتها حين كانت تضرب جذورها في الدولة، ولم يعِ جيدًا الثِّقل على الجانبين، فانشغل بالحفاظِ على سلطته.

ومما يبدو أيضًا أن الحراك القومي الذي حدث خلال فترة القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي بين القوميات الأوربية التابعة للعثمانيين؛ جعل العرب يعون حقيقتهم القومية كمكوِّن رئيس في حدود الدولة، خاصةً بعد أن ازداد عدد المتعلمين العرب في المدارس والجامعات الأوربية، إضافةً إلى المآسي التي باتت تزداد في العالم العربي، جرَّاء الحكم العثماني له[٣٠]. ومآسي العرب مع العثمانيين لم تكن وليدةً مع تحركهم القومي، إذ إنها ممتدة منذ فترات مبكرة من سيطرة العثمانيين على العالم العربي، ففي الأيام الأولى التي سقط فيها العالم العربي في أيديهم؛ كانوا يمارسون همجيتهم وسلطتهم من دون رحمة، لا يختلفون فيها عما فعله المغول.

ويذكر المعاصرون لدخول العثمانيين مصر ما يحاكي وحشيتهم، فالمؤرخ ابن إياس[٣١] يقول عن حال مصر بعد سيطرة جيش العثمانيين عليها في أحداث سنة ٩٢٤هـ/١٥١٨م: "شكى الناس من أذى العثمانية الذين بمصر، وتزايد منهم الفساد في حق الناس، وصاروا يتوجهون إلى الأماكن التي في زقاق الكحل والمساطحي، والتي في الجسر وحكر الشامي والأزبكية، ويأخذون

ما فيها من الأبواب والأسقف والشبابيك الحديد والطيقان، ويحمِّلونها على الجمال بين الناس على النداء والأجهار، ويبيعونها بأبخس الأثمان، ولم يجدوا من يردهم عن ذلك. ثم صاروا يطلعون بالنساء إلى القلعة، ويحشرون بها في أطباق المماليك التي بالقلعة. وصنعوا بالطباق أدنان بوزة، وصارت حانة برسم حرافهم. وصاروا يأخذون ما بالطباق من الأبواب والسقوف ويطبخون بها الطعام، حتى أخربوا غالب الطباق التي بالقلعة. ثم تزايد منهم الفساد حتى صاروا يخطفون النساء والصبيان المرج، وعمائم الناس من الطرقات والأسواق والأزقة في النهار والليل، وصار الناس على رؤسهم طيرة من العثمانية، ويجدون القتلاء مرمية في الطرقات"(٣٢).

والأمثلة على استبداد العثمانيين ضد العرب ممتدَّة وكثيرة، ففي حماة في بلاد الشام قاموا بإرسال حملة سنة ١١٠٦هـ/١٦٨٥م لتأديب الناس فيها والتمثيل بهم بعد إخراجهم الوالي العثماني لتزايد مظالمه، وسنة ١١١٩هـ/١٦٩٨م أُرسلت حملة لحرق بلدة غزير اللبنانية، وبعدها بسنة أرسل والي دمشق العثماني جيشًا لنابلس، فقتل أهلها وسبى ما يقارب ٧٠٠ امرأة منها، الأمر الذي اضطر الفقراء من عرب الشام إلى الهجرة جراء الظلم والاستبداد وتسخيرهم بطريقة مهينة، ومن وحشيتهم أن ولاتهم كانوا يضعون الرجال في الشام على الخوازيق، والنساء يضعونهن في الخيش مع شيء من الكلس ويلقين في النهر، إضافةً إلى تكرار حرقهم القرى وقطع الأشجار(٣٣).

وفي الجزيرة العربية عانى العرب فيها الأمرين من الحكم العثماني، حيث قام العثمانيون بالتعامل معهم بعد إسقاط الدولة السعودية الأولى بكل وحشية، حتى إنهم استباحوا المدن والقرى، وقتلوا الأعيان ورموا رؤوسهم في الشوارع من دون جثث(٣٤). غير أن الشَّام كانت الأكثر معاناة من الحكم العثماني، خاصةً أن مظالمهم واستبدادهم فيها امتدَّ لفترات طويلة، سيما خلال

القرن الثاني عشر الهجري/نهاية الثامن عشر وبداية التاسع عشر الميلادي، حين كانت مهدًا للقلاقل والثورات والفوضى التي كان يمارسها الجنود العثمانيون من قتلٍ وسلبٍ للناس(٣٥).

والعرب كانوا مهيئين للتخلص من الظلم العثماني، خاصةً في بلاد الشام منذ فترةٍ مبكرة، وبعد أن تولى عبدالحميد الثاني ازدادت معاناة العرب من استبداده ونشره للجواسيس وملاحقة أصحاب الرأي، فدخلت القومية في الأدبيات العربية بشكلٍ بارز وواضح كاتجاه جديد للخلاص من العثمانيين، تمثل في كتابات المثقفين وأشعارهم والصحف والمجلات التي أخذ يتعالى فيها الاتجاه القومي(٣٦).

وبعد إعلان الدستور الأول في عهد عبدالحميد الثاني؛ كانت مشاركة العرب في مجلس المبعوثان الانتخابي الأول سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م قليلة، مقارنةً بتعدادهم في حدود الدولة، ويُعلِّل البعض قلة نسبتهم لضرورة إتقان من يدخل المبعوثان للتركية، وجهل معظم العرب بماهية الحياة البرلمانية(٣٧). بينما أن أسبابًا كهذه ليست منطقية في تهميش الحضور العربي في الدولة، وضرورة مشاركتهم في المبعوثان بما يوازي تعدادهم وأهميتهم ودورهم، غير أن طريقة التعيين التي تمت للأعضاء كانت انتقائية، وبالعدد الذي يتناسب مع الطريقة الصورية التي يود السلطان توجيه المجلس بها، الأمر الذي زاد من إحساس العرب بتهميشهم من قبل الإدارة العثمانية.

لذلك حين حلَّ عبدالحميد الثاني الدستور سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م، لم تكن ردة الفعل العربية قوية، سوى من خلال بعض المثقفين العرب الذين اضطروا للتوجه لبعض العواصم الأوربية والتعبير عن حالتهم البائسة مع السلطان واستبداده من خلال الصحافة(٣٨)، وتعود ردة الفعل العامة بين العرب جراء ذلك، لحالة الإحباط التي انتابتهم من ضعف دورهم في هذا المجلس وفي

إدارة الدولة بشكلٍ عام.

وعلى الرغم من أن ردة الفعل العربية لم تكن بقوة ردة فعل المعارضين لحلِّ الدستور من الأتراك؛ إلا أن مجموعةً من العرب كانوا يقاسمون الأتراك الهموم ذاتها نتيجة السياسة الاستبداديَّة لعبدالحميد الثاني، وبذلك التقت المصالح بين القوميتين العربية والتركية من خلال شعارات الحرية والإخاء والمساواة[٣٩]، فظهر بين العرب من ينادي بالانفصال الكامل عن الدولة العثمانية من خلال تأسيس دولة عربية جديدة، وهؤلاء لم يكونوا ليتفقوا مع الأتراك على أيِّ حال، وظهر من ينادي للإصلاح السياسي ضمن إطار الدولة[٤٠]، وهذا الفريق هو الذي اتفق مع المعارضين الأتراك.

وفي فترةِ الاتفاق والوفاق بين المعارضين العرب والأتراك؛ أصبحت الاتحاد والترقي ترمز لهم سويًّا[٤١]. لذلك كانت باريس مقرًّا للقيادة ومركزًا يدير الاتحاديين الأتراك والعرب، حتى إنها عملت على استقطاب جميع المعارضين، فانضم إليهم الشبان بسن ١٥ عامًا، وأصدروا الصحف والمجلات باللغات الفرنسية والتركية والعربية الداعية للإصلاح، كما كانوا يتقاسمون المعاناة خلال فترة إقامتهم في أوربا لغلاء المعيشة والفقر الذي كان يرخي بظلاله عليهم، إذ كانوا يتلقون المساعدات المالية من قبل الأمراء المصريين[٤٢]. كما أن معظم الضباط العرب في الجيش العثماني انضموا للاتحاديين، خاصة بعد أن أبدى الاتحاديون الأتراك نواياهم بأن هدفهم إقامة حكومة صالحة على أساس انصهار الأجناس داخل حدود الدولة[٤٣].

أيضًا أصبح للاتحاد والترقي وجود قوي في الأقاليم العربية، وقد نشط العرب في دعم الجمعية، اعتقادًا منهم أنهم يحافظون على الوحدة السياسية التي تجمع العرب والترك وغيرهم من الأجناس الأخرى، والحفاظ على حقوق الجميع بإعادة الدستور[٤٤]، الذي انتهكه عبدالحميد الثاني حين عطَّله. وكانت

مصر وعربها أقوى داعم لمعارضة الاستبداد الحميدي، حتى إن ثلث الصحف والمجلات المعارضة باللغة التركية كانت تصدر من مصر[٤٥].

ولإحساس العرب باتفاقهم مع الأتراك ضد السياسة الحميدية؛ اتجهوا لتوحيد الجهود، ووصل الأمر أن الجمعيات العربية ذات البُعد القومي بدأ يخفت بريقها، لزيادة الإيمان العربي بالتوجه العام للإصلاح ضمن إطار الدولة مع الأتراك. لذلك فإن كثيرًا من القوميين العرب فتُر نشاطهم قبل الانقلاب العثماني، للدرجة التي عطلوا فيها أهم جمعياتهم القومية، كجمعية النهضة العربية التي أوقفت سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م[٤٦]، وراح الأتراك يستهلكون العرب من خلال توظيفهم في قضيتهم ضد عبدالحميد الثاني، ويستدرون عطف النافذين العرب في التوجه القومي. ومن ذلك الرسالة التي تلقاها نجيب عازوري[٤٧] سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، والتي وردته من شخص في إسطنبول يأسف لجهوده وطموحاته لتشكيل حزب قومي عربي يعزل المواطنين العرب عن الأتراك، ويعاتبه بأن عملاً كهذا يسعى إلى تفكيك الإمبراطورية العثمانية، حتى أن وصل الأمر لإغراء عازوري بمنصبٍ في الدولة مقابل تركه مشروعه العربي الاستقلالي[٤٨].

ومن أكثر الأمور التي كانت تربك عبدالحميد الثاني في مواجهة المعارضة انضمام العرب للأتراك ضده، لإيمانه بقوة العرب في قضيتهم، خاصةً أنها أكثر القوميات استطاعةً لزعزعةِ حكمه، باعتبار أحقيتهم بالخلافة، لذا حرص على تقريب العرب ومنحهم الهبات السخية، وتعيين موظفين عرب في مراكز إدارية وعسكرية عالية في الدولة[٤٩].

غير أن محاولات عبدالحميد الثاني لم تكن ناجحة سوى بشكلٍ نسبي، لأنها في النهاية حاولت استقطاب بعض الأعيان، الذين حافظوا على هدوء الناس، خاصةً في الشام، إذ رضي عنه كبار السياسيين[٥٠] الذي جنوا الثمرة

وحدهم، وهدوء الناس لم يكن سوى عاصفة من الاستياء المتراكم تاريخيًّا للبحث عن زوبعة تقتلع هذا الاستبداد، الذي كان عرب عبدالحميد جزءًا منه. وهؤلاء المثقفون الحميديون عملوا قبل الانقلاب على تأمين امتيازات للعرب في ولاياتهم ضمن إطار العثمانوية(٥١)، كردة فعل مضادة للاتحاديين عامة، والعرب منهم خاصة.

ومع ما كان السلطان وأنصاره في البلدان العربية يعملون عليه من محاولة استقرار الأمور لهم؛ إلا أن الجمعيات والأحزاب الوطنية لعبت دورها في تنوير العقول العربية في بلدانها(٥٢)، وبما أن الاتحاد والترقي كانت ترفع شعار المساواة بين المواطنين العثمانيين من دون تمييز عرقي؛ فإن هذه الجمعيات والأحزاب متَّسِقة تمامًا مع برنامج الاتحاديين ضد السياسة الحميدية. ومن فرط ثقة المفكرين العرب بالاتحاديين، أصدروا الصحف باسم تركيا الفتاة، وراحوا يتغنون بشعاراتهم. وخلال الانقلاب العثماني على عبدالحميد الثاني، راح العرب يعلنون ابتهاجهم بانتصار الحرية، والشعراء نظموا القصائد احتفاءً بهذا النصر الذي رأوا عظمته(٥٣). ومما كتبه العرب بمناسبة الانقلاب مقالةً لسليم سركيس(٥٤) نشرت في صحيفة لسان الحال في الأول من ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م: "هذه أول مرة شعرت فيها بالوطنية التي يشعر بها كل من قدر الوطنية قدرها بتزاور الناس من جميع الطبقات وهم فرحون منشرحو الصدور، فاليوم شعر السوريون بطيب الحرية وأدركوا سوء مغبة الاستبداد والضغط، وعرفوا أن التعصب الذي يفرق الكلمة يفرق القلوب. اليوم دروا أن أوربا لم تستفحل صولتها إلا بالاتحاد، ولا اتحاد مع التعصب"(٥٥)، وكان يعتقد سركيس ومن دعموا الاتحاديين أنهم أصبحوا في فجر حريةٍ جديد.

وقد قابل غالبية العرب إعلان الدستور والانقلاب العثماني بحماسة عظيمة، طمعًا منهم بالخروج من حالة الاستبداد الحميدي التي كانوا يعانون

منها، وتأملوا بأن يكونوا عثمانيين بالتساوي مع الأتراك وغيرهم من الأجناس الأخرى سواءً في الواجبات أو الحقوق، لذلك أعلنت الجمعية الوطنية السورية من باريس استبشارها بثورة الاتحاديين، لكنها في الوقت نفسه كانت الأكثر تنبهًا وحذرًا من عدم وفائهم، حين أشارت في بيانٍ لها أنها ستلقي السلاح جانبًا بشكلٍ مؤقت، وأنها ستعود لنشاطها في حال لم تصدق الوعود بالمساواة[٥٦].

كما أن الاتحاديين لم يبينوا موقفهم الصريح قبل الانقلاب من القوميات غير التركية، إذ كانوا يرفعون شعار العثمنة التي دعموها باعتبارها كفيلة بالحفاظ على اتحاد الدولة[٥٧]، وهذا ما نادوا به منذ عقود قبل انقلابهم[٥٨]، من دون أن يظهروا ميولهم الطورانية كما حدث بعد الانقلاب.

وفي تقييمٍ لموقف الاتحاديين القومي؛ فإنهم يعون جيدًا خلال ازدياد نشاطهم قبل الانقلاب بأن الإكثار من شعاراتهم القومية قد يُفقدهم تعاطف غير الأتراك في حدود الدولة، لذا تماهوا بشكلٍ كبير مع غيرهم[٥٩].

سياسة "الاتحاد والترقي" تجاه العرب بعد الانقلاب العثماني ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م:

حين نجح الانقلاب العثماني على عبدالحميد الثاني؛ وجد الاتحاديون أنفسهم على رأس هرم السلطة في الدولة، حينها لم يعُد هنالك حاجة إلى مداهنة القوميات غير التركية، وكان ذلك إيذانًا بنهاية الوئام بين القوميتين العربية والتركية. ويصف عوني عبدالهادي[٦٠] (١٣٠٦-١٣٩٠هـ/١٨٨٩-١٩٧٠م) في مذكراته موقف الأتراك من العرب خلال احتفالهم بنجاح الانقلاب وإعلان الدستور حين كان حاضرًا في إسطنبول، إذ كانوا يتعمدون شتم الأمة العربية بشكلٍ مباشر في الشوارع، ويكيلون التهم واللعان للعرب، وركزوا في ذلك على مستشاري عبدالحميد الثاني من العرب، في حين لم يتناولوا الأتراك المقربين من السلطان[٦١]، وبعد ذلك استشرت النزعة الطورانية، وبدأت تظهر نزعتها الفاشية الشوفينية من خلال العمل الإجرامي ضد المخالفين، خاصةً من

الأجناس غير التركية، وعملوا على إظهار احتقارهم وتنمرهم ضد العرب خاصة[٦٢]. على الرغم من أن العرب أظهروا حسن النوايا، وساندوهم خلال فترة نضالهم ضد عبدالحميد الثاني.

وعمل الاتحاديون على مجموعة إجراءات كانت كفيلة بالقطيعة بين القوميتين العربية والتركية، كان أهمها الآتي:

١. سياسة التتريك:

يُعتبر التتريك لدى الاتحاديين بابًا واسعًا، قاموا بتطبيقه على مناحٍ عدَّة، وكان من خلال مواقف رسمية أظهرت توجههم الطوراني. فكانت سياسة التتريك عن طريق المطبوعات والوظائف، وفرض اللغة التركية على المعاملات الحكومية كافة، وفرضها كلغة لتدريس الطلاب في المدارس في جميع المناطق العثمانية[٦٣]. إذ لم يراعِ الاتحاديون خصوصية القوميات المختلفة في حدود الدولة، ومنها القومية العربية، التي كانت بالنسبة لها سياسة التتريك بمثابة محاولة صريحة لطمس الهوية.

إضافةً إلى أن العرب شعروا بأن الرفع من قيمة اللغة التركية وفرضها عليهم كلغة رسمية فيه إهانة كبرى لهم في ولاياتهم[٦٤]، وزاد الأمر سوءًا بين العرب أن القيادة السياسية في الدولة كانت شديدة في فرض التتريك خاصةً أن الأمر لم يكن مألوفًا لدى العرب[٦٥]، إذ لم تظهر أي تسامح في تطبيقها. وفي محاربة واضحة وصريحة لاستخدام اللغة العربية في المعاملات الرسمية؛ فُرض على العرب في جميع أنحاء العالم من رعايا الدولة العثمانية مخاطبة سفاراتهم بالتركية، حتى إن المسؤولين في الولايات العربية كانوا يتفاهمون مع الناس من خلال مترجمين[٦٦]. فيما أن أمرًا كهذا لم يكن منطقيًّا في ظل وجود وسيلة التفاهم بالعربية، غير أن رغبة تتريك القوميات غير التركية، وخاصةً العربية؛ كانت واضحة في سياسة الاتحاديين، فقد ذكر طلعت باشا[٦٧] (١٢٩١-

١٣٣٩هـ/١٨٧٤-١٩٢١م) في خطبةٍ له في سالونيك بعد الانقلاب ما نصُّه: "لا يمكن أن تكون هناك مساواة بين المواطنين ما لم نفلح في تتريك الإمبراطورية"[٦٨]. وفي ذلك اعتراف صريح بأن قيادة الاتحاديين لا تعترف بقومية غير التركية بعد توليها السلطة، وترى بأن المساواة لا يمكن أن تتم سوى في إطار القومية واللغة التركية، وهو الأمر الذي لم يكن مقبولاً للعرب. ومما يؤكد أن سياسة التتريك الاتحادية كانت ممنهجة ومُرتبًا لها قبل الانقلاب؛ أن الاتحاديين عملوا على إنشاء مجموعة من الجمعيات العنصرية التركية، التي كان هدفها فقط العمل على تتريك غير الأتراك ومنهم العرب، كجمعية ترك أوجاغي[٦٩]، وترك بوردي[٧٠]، وترك درنكي[٧١]، وترك بلكيشي[٧٢]، وقد صُرف على هذه الجمعيات بسخاء من قبل الجهات الرسمية التابعة للاتحاديين، ووجه نشاط الجمعيات بشكلٍ كبير لمحاربة اللغة العربية وآدابها، وعملت على نشر الكتب التي تدعم التوجه القومي التركي، كما سعت إلى فرض تدريس التاريخ الطوراني وتمجيد نسل الأوغوز[٧٣]، موحين إلى أن الأتراك أعظم أمةٍ على الأرض، لذلك اختيرت لقيادة العالم وسيادته[٧٤].

ومن سياسة التتريك أيضًا أن قاموا بفرض تغيير الأسماء بين الأتراك أنفسهم، حيث غُيرت الأسماء العربية وعلى رأسها اسم محمد إلى أسماء تركيَّة صِرفة، كجنكيز وتيمور وغيرها من الأسماء، كما فرضوا على الطلاب في المدارس ترديد أناشيد تُمجِّد الجنس التركي، ورد فيها تمجيدٌ لجنكيز خان وإلى أعلامه خلال غزوه، وأنه أول طريق المجد والشرف التركي. كما عمدوا إلى إنشاء أدعية خاصة بالترك وحدهم دون غيرهم من الأجناس الأخرى، يرددون فيه اسم الذئب الأبيض، الذي يُعتبر إلهًا من آلهةِ التُّرك القُدماء، ويعتبر أحد أهم شعاراتهم[٧٥].

ويقول أحد أكثر المتطرفين القوميين الأتراك جلال نوري[٧٦] (١٢٩٤-

١٣٥٧هـ/١٨٧٧-١٩٣٨م) في كتابه تاريخ المستقبل عن التتريك: "إن المصلحة تقضي على حكومة الأستانة بإكراه السوريين على ترك أوطانهم، وأن بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين، ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الأقطار العربية إلى أقطار تركية؛ لأن النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية، وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط لها من الآن"(٧٧). كما نشرت صحيفة طنين التركية مقالاً جاء فيه: "لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلًا تامًّا، كأنهم ليسوا تحت حكم الترك، فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال أن ينسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم، فإذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى إلى حتفه بظلفه؛ لأن العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلًا أو آجلًا على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك"(٧٨). وكانت أشد صور محاربة اللغة العربية؛ في أن النحو والصَّرف العربي كان يُدرَّس للطلاب العرب في ولاياتهم باللغة التركية(٧٩)، والأغرب من ذلك أن الاتحاديين كانوا يبعثون مدرسين أتراكًا للولايات العربية لتدريس اللغة العربية(٨٠).

حتى المدارس الخاصة التي كان العرب يسعون لتأسيسها في ولاياتهم؛ كان مؤسسوها يعانون من إرغامهم على أن يكون التدريس فيها باللغة التركية، فحين أراد سليمان فيضي(٨١) (١٣٠٢-١٣٧٠هـ/١٨٨٥-١٩٥١م) تأسيس مدرسة تذكار الحرية في البصرة سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م يكون التدريس فيها باللغة العربية والتركية كلغة أجنبية، أشار الوالي على فيضي أن يكون اسم المدرسة اسمًا تركيًّا من دون الإشارة للتعليم بالعربية، حتى لا يُرد الموضوع، وبعد أن رُفع الأمر إلى إسطنبول رأت حكومة الاتحاديين الموافقة على فتح

المدرسة على أن تكون تحت نظارتهم ويكون فيضي مديرًا لها براتب شهري، وسُميَّت المدرسة باسم الاتحاد والترقي، وجُعل التدريس بها بالتركية، ويقول فيضي: "منذ الساعة التي رأيت فيها اللافتة الجديدة على مدرستي وسمعت طلابها يرددون الدروس بالتركية، منذ تلك الساعة أيقنت أن جمعية الاتحاد والترقي لا تضمر للعرب إلا السوء والشر، وأنها سائرة إلى تتريكهم ومحو عروبتهم، فقدمت استقالتي من الجمعية وناوأتها"(٨٢).

ومن أقسى فصول التتريك؛ أن قام الاتحاديون بالمناداة بعدم ضرورة قراءة القرآن باللغة العربية، ولا يلزم الأتراك تعلم العربية لقراءة القرآن، وبناءً عليه أجازوا ترجمة القرآن إلى اللغة التركية، واقتصار معرفته بما تتم ترجمته، من دون الحاجة إلى الرجوع للقرآن بلغته التي نُزِّل بها من الله عزوجل(٨٣).

٢. تهميش العرب في إدارة الدولة:

مما يبدو أن العرب كانوا يعاملون الاتحاديين بحسن النوايا، يدل على ذلك أنه ما أن نجح الانقلاب العثماني؛ حتى بادر العرب إلى إنشاء جمعية الإخاء العربي العثماني في إسطنبول، التي تهدف لتوحيد العرب والأتراك، حتى أن الاتحاديين الأتراك حضروا افتتاح الجمعية، ومن ضمن أهدافها تحسين أوضاع الولايات العربية، ونشر التعليم بالعربية، والمحافظة على عادات العرب وتقاليدهم(٨٤). غير أن هذه الجمعية كانت تحاكي الحلم في التآخي مع الأتراك، الذين كانوا يبيتون النوايا ضد العرب. لذلك كانت أول خطوة تركية في سبيل هذا التآخي في إغلاق جمعية الإخاء العربي العثماني(٨٥).

وأول عمل للاتحاديين بعد تسلمهم السلطة يثبت نواياهم؛ أن قاموا بطرد المستشارين العرب في الحكومة العثمانية في عهد عبدالحميد الثاني، ومنعوهم الدخول في النخبة المركزية لجمعيتهم الاتحاد والترقي، وأصبح الأمر للتُّرك وحدهم، أيضًا عزلوا جميع الوزراء العرب، عدا وزارة الأوقاف التي أبقوها

للعرب، ولم تدُم طويلاً حتى انتزعوها للأتراك[٨٦]. كما ظهرت عنصريتهم بشكلٍ بارز في الترقيات والمناصب العليا في الجيش، إذ قُصرت على الأتراك دون العرب، وحين احتج الضباط العرب على الأمر وطلبوا اجتماعًا مع زعماء الجمعية، قام الاتحاديون بإفساد الاجتماع من خلال إطلاق عبارات جارحة ضد العرب وتمجيد الترك[٨٧].

ومن صور الإغراق في تحقير العرب في ولاياتهم؛ أن أبسط الوظائف فيها كانت للأتراك، ناهيك عن ما هو أكبر منها، فمثلاً موزِّع البريد، والذين يعمرون خطوط البرق وكُتَّاب الديوان وضباط الدرك، ومفوضو الشُّرط ومسجلو النفوس، والذين يعملون على جباية الضرائب، كل هؤلاء عُمد أن يعينوا من الأتراك وهم لا يعرفون اللغة العربية[٨٨].

ومما يبدو أن حكومة الاتحاد والترقي لم تكن ترى غضاضةً في أن تمارس إقصاء العرب بشكلٍ علني؛ إذ إنها منذ أن وقع الانقلاب كانت تمارس الضغط على فروعها في الولايات العربية بأن تفرض على الولاة طرد الأعيان العرب من إدارتها، خاصةً أولئك الذين كانوا مقربين من النظام الحميدي[٨٩]. ولم يكن النظام الحميدي سببًا في طرد الأعيان والموظفين العرب، بقدر ما كان الأمر ضمن سياسة تهميش العرب في ولاياتهم، بغض النظر إن كانوا من ضمن مؤيدي النظام الأسبق أو لمجرد كونهم عربًا.

بعد أن استقرت أمور الاتحاديين إثر إعلان الانقلاب، لم يكن أمامهم سوى أن يبدأوا بانتخابات البرلمان وتطبيق الدستور من جديد. لذلك أشرف الاتحاديون بشكلٍ مباشر على الانتخابات، وبما يضمن نجاح الأغلبية من المرشحين التابعين لهم، حيث عملوا على حراسة صناديق الاقتراع، وقاموا بالطواف على المنازل لتسليم جداول بأسماء المُرشحين الذين يجب عليهم انتخابهم، سواءً من الاتحاديين أو مؤيديهم، وبناءً عليه حدثت مجموعة من

الاضطرابات والصدامات الدموية خلال عملية الاقتراع، خاصةً في العراق وتحديدًا في الموصل والعِمارة في العراق، لاحتجاج الناس على أن أسلوب الاتحاديين في الانتخابات يوحي بالتلاعب، لذلك توفي ٥٠ رجلاً من الموصل إثر تلك السياسة التي انتهجها الاتحاديون في انتخابات البرلمان(٩٠). أيضًا عمدوا إلى منع القوميين العرب من ترشيح أنفسهم، ممن صدر في حقهم أحكام اعتقال، حتى لو لم تثبت عليهم أي تُهم، علمًا أن جزءًا منهم اعتُقل قبل الدستور، وأطلق سراحهم بعده، كما أجريت انتخابات صورية في اليمن وعسير حين تدخل الاتحاديون بصورة سافرة واشترطوا أن يكون المرشح من أعوانهم(٩١).

ومما يبدو أن مبعث الإجراءات الاتحادية ضد العرب؛ من كونهم يشعرون بأن أخطر القوميات المهدِّدة للطورانية ورفعتها هي القومية العربية، لذلك عثر بعض الضباط العرب على رسالةٍ لأحد الضباط الاتحاديين إلى زميلٍ له سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م آخر جاء فيها: "عرِّضوا العرب لرصاص العدو، واعملوا على التخلص منهم لأن قتلهم يفيدنا"(٩٢).

٣. انتقاص العرب والسخرية منهم:

في مقابل ما كان يُمارس من تهميش في إدارة الدولة ضد العرب، عَمَد الاتحاديون إلى الانتقاص العلني من الجنس العربي، فقد نشرت الصحف التركية كثيرًا من المقالات التي تناولت العرب بالنقائص، تقليلاً وتحقيرًا وسعيًا لمزيدٍ من السيطرة على العرب من قبل القومية التركية. ومن أكثر الصحف تنمرًا وكرهًا للعرب صحيفة طنين، الأمر الذي اضطر الطلاب العرب في إسطنبول إلى مهاجمة مقر الصحيفة، أيضًا حدث الأمر ذاته في مهاجمة مقر صحيفة إقدام التي نهجت نهج طنين ضد العرب(٩٣).

ومما نشرته إقدام، مقالٌ جاء فيه أن العرب يبيعون كل شيء بالمال حتى

العِرض، وكان ذلك أشد ما جاء فيها مع سبٍّ أكثر من ذلك مما يوحي الطعن بشرف العرب، والسخرية منهم ونفي شهامتهم، وتحقير تقاليدهم، وحين ذهب النواب العرب إلى وزارة الداخلية احتجاجًا على صحيفة إقدام؛ قامت الوزارة بتعطيل عملها وتغريمها، غير أنها ما لبثت أن خرجت بثوبٍ آخر تحت اسم الإقدام الجديد، ولم يسلم العرب منها، إذ سعت إلى الدعوة بتنقيح اللغة التركية من المفردات العربية(٩٤). ولم يقتصر الأمر على الصحف التركية، فقد نشر أحد زعماء الاتحاد والترقي الأتراك مقالاً يقول فيه: "على الأتراك أن يسموا دولتهم الدولة التركية وينبذوا اسم الدولة العثمانية البالي، وعليهم ألا يعترفوا بوجود عنصر آخر يستظل بالراية التركية غير العنصر التركي، أما العرب والأقوام الأخرى فما عليهم إلا أن يكتسبوا العنصرية التركية الرفيعة"(٩٥). وفي أحد خُطب الجُمع في جامع آياصوفيا بعد الانقلاب؛ قال الخطيب عبيدالله الأفغاني(٩٦) ما نصه: "أيها الأتراك المسلمون كفاكم وهنًا ومسامحة، انفضوا عنكم هذا الغبار، وامحوا عن مساجدكم أسماء الخلفاء الراشدين وآل الرسول ممن لا يعنيكم أمرهم، واكتبوا بدلها أسماء الأبطال الاتحاديين أمثال طلعت، وجمال، وأنور، وجاويد، الذين هم أولياء الله الصالحين قدس الله سرهم"(٩٧). وشطَّ الاتحاديون في طورانيتهم وكرههم للعرب للدرجة التي أساءوا فيها للأنبياء والرسل عليهم السلام، ومن ذلك قولهم: "إن العرب هم بلية علينا وإن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم"(٩٨).

الموقف العربي من سياسة "الاتحاد والترقي" الطورانية:

بعد أن طبَّق الاتحاديون سياستهم القومية إثر الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وحين شعر العرب بالخذلان وخيبة الأمل بعد مناصرتهم لهم على أساس تحقيق المطالب العربية بالاستقلال الذاتي في ولاياتهم؛ لم يكن لدى العرب بُدٌّ من أن يعمدوا إلى استئناف نشاطهم القومي ضد الأتراك(٩٩).

علمًا أن النشاط القومي العربي سبق القومية الطورانية، غير أن العرب تواءموا مع الأتراك ضد عبدالحميد الثاني بقصد الحصول على حقوقهم القومية في ولاياتهم، غير أن وعدًا من الوعود لم يتم، بل العكس من ذلك، حيث أغرق الأتراك في محاولة إذلال القومية العربية أكثر مما كانت عليه في العهد الحميدي. وبطبيعة الحال أن الموقف الذي تعرض له العرب بعد الانقلاب؛ جعلهم يكونون أكثر إصرارًا على موقفهم في المطالبة بالاستقلال بشكلٍ أكبر من اللامركزية التي كانوا يطرحونها كخيار يضمن حقوقهم.

كما أن السياسة الاتحادية جعلت العرب يزدادون قناعةً بنظرتهم القومية التي كانت دارجةً أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حين دخلت أدبياتهم فكرة أن العثمانيين محتلون لأراضيهم، وليسوا امتدادًا للدولة الإسلامية، الأمر الذي يعني تأكيد القطيعة بين القوميتين العربية والتركية[١٠٠]. وعطفًا على ذلك استأنف العرب إنشاء الجمعيات، إذ إنه بعد حل جمعية الإخاء العربي العثماني؛ جاء دور المنتدى الأدبي، الذي تأسس في إسطنبول بين جماعة من الموظفين والنواب والأدباء والطلاب العرب بقصد أن يكون مقرًّا لاجتماعات العرب وذلك في صيف ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وكان في بدايته على مرأى من الاتحاديين، باعتبار أن أهدافه المبدئية لم تكن سياسية كما كان معلنًا، أيضًا أُنشئت الجمعية القحطانية في أواخر سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م بهدف تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة من تاجين عربي وتركي، وكان نشاط هذه الجمعية سريًّا، يرأسها عزيز علي المصري[١٠١] (١٢٩٦-١٣٨٥هـ/١٨٧٩-١٩٦٥م) وكان أكثر أعضائها من الضباط العرب في الجيش العثماني[١٠٢]. وأقوى وأكثر الجمعيات العربية تأثيرًا ضد الاتحاديين الأتراك العربية الفتاة، التي تأسست في باريس سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م[١٠٣]، وضمت نخبة من العرب في سوريا ومصر وإسطنبول[١٠٤]. ومما يبدو أن العربية الفتاة كانت الأكثر حضورًا بين الجمعيات

العربية في قضية مواجهة الطورانية، وقد أخذت اسم العربية الفتاة بعد أن أسست باسم جمعية الناطقين بالضاد، وكانت تنهج الأسلوب الذي نهجته تركيا الفتاة في سبيل تحقيق أهدافها بالاستقلال عن الدولة العثمانية، خاصةً أنها أصبحت الباعث والملهم للجمعيات العربية الأخرى، كالاستقلال واللامركزية، والعهد والمنتدى الأدبي[١٠٥]. وبحسب مذكرات عوني عبدالهادي؛ فإنه ذكر بأنه كان وزملاؤه محمد رستم حيدر[١٠٦] (١٣٠٦-١٣٥٩هـ/١٨٨٩-١٩٤٠م)، وأحمد قدري[١٠٧] (١٣١٠-١٣٧٨هـ/١٨٩٣-١٩٥٨م)، في إسطنبول حين إعلان الدستور، حيث كانوا يتلقون تعليمهم، فهالهم ردة فعل الأتراك ضد العرب وتعصبهم لتركيتهم، ما دفعهم إلى إنشاء جمعية عربية سرية قومية لمواجهة الاتحاديين لاستقلال الأمة العربية، وقاموا بتأسيسها بهدف النهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحية، كما كان في قَسَم الجمعية[١٠٨]، من دون الإشارة إلى السعي وراء الاستقلال، حيث يقول أحمد قدري عن ذلك: "وقد تحاشينا ذكر اسم الاستقلال في مضامين برنامج جمعيتنا، وإن كنا في السر نعمل ونسعى وراءه"[١٠٩]، وقد انضم إليها أكثر القوميين العرب آنذاك[١١٠].

ونتيجةً لتصاعد الحس القومي بفعل الطورانيين؛ تحفز العرب أكثر مما كانوا عليه في السابق للاستقلال، خاصةً بعد نجاح الحركات التحريرية عن الدولة العثمانية في بلغاريا، وكريت، واضطرابات اليمن الانفصالية، وتزايد نشاط الجمعيات العربية[١١١]. وقد زاد من حماسة القوميين؛ البطش الذي قام به الاتحاديون تجاه العرب الذين شاركوا في التمرد ضدهم سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، حين نفذوا إعدامهم من دون أن يراعوا ردة الفعل العربية[١١٢].

وهذا من الأسباب التي دفعت النواب العرب في البرلمان العثماني إلى الاتفاق مع القوميين في توجههم، على الرغم من موقفهم الرسمي تجاه الدولة، حيث اتسم نشاط هؤلاء النواب بالحذر والسريَّة، غير أنهم كونوا كتلةً عربية في

البرلمان لدعم الموقف والقضايا العربية[١١٣]. وكان أخطر موقف يتخذه النواب العرب سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، حين قام ٣٥ نائبًا عربيًّا بمراسلة الشريف حسين بن علي في مكة يبايعونه زعيمًا لهم وخليفةً للمسلمين في حال ساعدهم ضد الاتحاد والترقي ومواقفه العنصرية ضد العرب[١١٤].

وممن راسلوا شريف مكة السيد طالب النقيب[١١٥] (١٢٧٨-١٣٤٧هـ/١٨٧١-١٩٢٩م)، حيث جاء في رسالته: "صارحني أعداء لغتنا وأمتنا، ولا سيما خليل بك رئيس مجلس النواب، بما في نفوسهم. وهم أنهم سوف يقتادوننا إلى المشانق كما تُساق الأغنام إلى المسالخ إذا كنا نحن العرب لا نوافقهم على آرائهم ونسير بأوامرهم. ولقد بلغ صدى هذا الوعيد مسامع النواب العرب، فهاجت حفيظتهم واشتد احتجاجهم، حتى إن المجلس اضطر إلى توقيف جلسته"[١١٦].

وعطفًا على الموقف العربي تجاه الإجراءات العنصرية التي اتخذتها حكومة الاتحاد والترقي ضد العرب؛ فإن الولايات العربية أصبحت مهيأة للثورة ضد الدولة العثمانية وسياسة حكومتها الاتحادية منذ السنة الأولى لتسلمها السلطة، وهذا يفسر الخطوات العملية التي عمل عليها العرب بعد ذلك قبل وخلال الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢-١٣٣٦هـ/١٩١٤-١٩١٨م)، وشهدت قيام الثورة العربية سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م[١١٧] ضد الدولة العثمانية واستقلال الولايات العربية تمامًا عنها بعد ذلك بشكلٍ تدريجي، خاصةً بعد عمليات الإرهاب التركي الذي مورس ضد القوميين العرب والمشانق الجماعية التي تمت في بلاد الشام سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٥م[١١٨].

نتائج الدراسة: خلصت هذه الدراسة إلى عددٍ من النتائج، أهمها:

١. أثبتت الدراسة أن الجمعيَّات العربية كانت سابقة للتركيَّة في النشأةِ والنشاط، وعلى الرغم من أنها بدأت برداء أدبي ثقافي، إلا أنها كانت تعمل على

الجانب السياسي بشكلٍ غير مباشر، خاصةً أنها كانت مدعومةً من قبل نصارى العرب الذي كانوا يشعرون بإقصاء الدولة العثمانية لهم مقابل المسلمين.

٢. أثبتت الدراسة أن موقف العرب المسلمين المنتمين للجمعيات الأولى في الولايات العربية، لم يكن لديهم رغبة في الانفصال عن الدولة العثمانية قبل الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وكان ذلك أبرز خلاف تم بين العرب المسلمين والنصارى. لذلك سعى نصارى العرب إلى ضرورة دخول مسلمي العرب إلى الجمعيات الماسونية، حتى تتحد الأهداف والرؤى بينهم.

٣. برهنت الدراسة أن فرنسا كانت باعثًا مهمًّا ومحركًا رئيسًا لإنشاء الجمعيات المعارضة للدولة العثمانية، سواءً بين الأتراك أو العرب، من خلال إحياء الحس القومي، من خلال إيحاءات الثورة الفرنسية، واحتضان باريس لنشاط الجمعيات المؤثرة، والتي كانت عمليةً في إجراءاتها، وأثرت في تغيير الوضع العام في الدولة العثمانية قبل وبعد الانقلاب العثماني وإعلان الدستور.

٤. أثبتت الدراسة ما كان يعانيه العرب من جراء الحكم العثماني للولايات العربية منذ سقوطها في أيديهم في جميع الولايات العربية، وأشارت إلى أمثلة هذه المعاناة التي أثبتت أن الأتراك العثمانيين لم يكونوا ينظرون للعرب كإخوة، بل ينظرون إليهم كجنس تابع، مارسوا ضده الإقصاء والتهميش والقسوة والقتل والاستباحة.

٥. تناولت الدراسة العُقدَة التركية من القومية العربية، باعتبار أن الأتراك يعانون من عقدة أن العرب يمثلون السِّيادة الأولى لهم في فترات مبكرة من التاريخ الإسلامي، حين استكثروا منهم كقوة عسكرية، وكجنس وفر الرقيق والقادة وزوجات الخلفاء والسلاطين العرب قبل قيام الدولة العثمانية. ومما يمثل معاناتهم الحقيقية أنهم كانوا يشعرون بانصهار قوميتهم في الثقافة

العربية الإسلامية، وبالتالي فإن ذلك جعلهم يحاولون إثبات أن الجنس التركي يمتلك حضارة وثقافة من الممكن أن ينافسوا العرب فيها، على الرغم من أن كثيرًا من مبادئ الثقافة التركية قد لا تتفق مع الإسلام وثقافة العرب وعاداتهم وتقاليدهم.

٦. جاءت الدراسة بصورة منطقية لسبب مداهنة الاتحاديين للعرب قبل الانقلاب العثماني وتسلمهم السلطة، لكسب النشاط العربي، من خلال إغرائهم بالحصول على حقوقهم في ولاياتهم، ومسألة القبول بنقاش فكرة اللامركزية في إدارة الدولة إذا ما وصل الاتحاديون للسلطة.

٧. تناولت الدراسة الموقف التركي والحكومة الاتحادية من العرب بعد حصولهم على السلطة، الذي ناقض جميع وعودهم التي أغروا بها العرب قبل ذلك، حيث عملوا على الإغراق في محاولة طمس الهوية العربية وصهرها في الثقافة التركية والقومية الطورانية من خلال التتريك وإقصاء العرب من مناصب ووظائف الدولة، كذلك في محاولة السخرية العلنية من العرب والتنمر الواضح عليهم من خلال المثقفين والسياسيين الأتراك.

٨. تتبعت الدراسة أهم الإجراءات التي انتهجها العرب بعد سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، حين تأكدوا من انقلاب الموقف الاتحادي ضدهم من خلال استئناف نشاط الجمعيات التي هدفت إلى الاستقلال، ومقاومة حركة التتريك، والمطالبة بالحصول على حقوقهم، حتى آمنوا بفكرة الثورة والاستقلال من خلال الشريف حسين بن علي في مكة.

الهوامش:

(١) مصطفى البارودي، الفرد والدولة في الفكر السياسي لما بعد الثورة الفرنسية (دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٥م)، ٢٧-٢٨.

(٢) البارودي، الفرد والدولة، ٥٥-٥٦.

(٣) ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية، ترجمة: جورج كوسى، ط٤ (بيروت: منشورات بحر المتوسط، ١٩٨٩م)، ١٩٥.

(4) James Bonwick, Who are the Irish (London: David Bogue, 1880), 129.

(٥) إريك هوبزباوم، عصر الثورة – أوربا ١٧٨٩-١٨٤٨م، ترجمة: فايز الصبَّاغ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م)، ١٢٦-١٢٧.

(6) William Moore, The clash a study in nationalities (London: J. M. Dent & Sons limited, 1918), 28-29.

(7) Israel Zangwill, The principle of nationalities (London: Watts & CO., 1917), 49.

(8) Ernest Barker, The Submerged nationalities of the German Empire (London: Oxford university press, 1915), 5.

(٩) أنيس محمود، السلطان عبدالحميد الثاني والأطماع الصهيونية في فلسطين ١٨٧٦-١٩٠٩م (عمَّان: أروقة للدراسات والنشر، ٢٠١٤م)، ٢٩٣.

(١٠)أحمد قدري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، ط٢ (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٣م)، ٥.

(١١)ماري باتريك، سلاطين بني عثمان (بيروت: مؤسسة عزالدين، ١٩٨٦م)، ٣٦.

(١٢)عضو جمعية عربية سريَّة (مجهول)، ثورة العرب الكبرى ١٩١٦م (حَمَاة: مطابع أبي الفداء، ١٩١٦م)، ٢٢.

(١٣)إبراهيم الداقوقي، صورة الأتراك لدى العرب (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١م)، ٥١.

(١٤)مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة: محمد حرب، ط٥ (دمشق: دار القلم، ٢٠١٢م)، ١٩٥.

(١٥)أحد أهم المفكرين والموجهين الأتراك في عصره. جورجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ٢: ١٠٧-١١١.

(١٦)محمد عصفور سليمان، "العثمانيون الجدد – أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في

بلورتها"، مجلة ديالى، جامعة ديالى بالعراق، ع. ٤٩ (٢٠١١م)، ١-١١.

(١٧)جبر الهلول، الاتحاديون والجمعيات السرية العربية ١٩٠٨-١٩١٦م (ألمانيا: نور للنشر، ٢٠١٧م)، ١-٥.

(١٨)شاعر ولغوي، يُعدّ أحد أشهر رواد النهضة اللغوية في الشام. زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ٢: ١٩-٢٠.

(١٩)أديب موسوعي ومؤرخ لبناني، وهو أحد رواد النهضة العربية في لبنان. زيدان، تراجم مشاهير الشرق، ٢: ٣٧-٣٨.

(٢٠)طلال الجويعد، محمد روحي الخالدي ١٨٦٤-١٩١٣م ونظرته للإصلاحات العثمانية (الكويت: مكتبة ومركز فهد الديوس للتراث الأدبي، ٢٠١٢م)، ١٠٨.

(٢١)سعيد الغامدي، موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبدالحميد الثاني (الشام ومصر) ١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م (الرياض: مكتبة التوبة، ١٩٩٢م)، ١٧١-١٨٧.

(٢٢)أحد أشهر السياسيين العثمانيين، ويطلق عليه أبو الأحرار، تولى مناصب عدَّة في الدولة، منها منصب الصدر الأعظم ووزير العدل، والولايات: سوريا، العراق، سالونيك، توفي في الطائف. قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥١م)، ٨-١٨.

(٢٣)أحد الكُتَّاب العرب، ومن أشهر رجالات الأدب والسياسة العرب، ولد في بيروت وانتقل إلى البصرة وبغداد وأقام فيها قرابة ٨٠ سنة، وانتقل إلى مصر وإسطنبول ثم عاد إلى بيروت، وقد انتخب أحد النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني، وأوفد إلى أوربا في مهام رسمية، تولى وزارة التجارة والزراعة قبل الحرب العالمية الأولى. خير الدين الزركلي، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط١٥ (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ١٢٤.

(٢٤)سليمان البستاني، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده، تحقيق: خالد زيادة (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ٨٤.

(٢٥)الغامدي، موقف المعارضة في المشرق العربي، ١٧٦.

(٢٦)زين نورالدين، نشوء القومية العربية، ط٤ (بيروت: دار النهار، ١٩٨٦م)، ٦٠-٦١.

(٢٧)وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠م (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦م)، ١٢٦-١٢٩.

(٢٨)فرنسية عُرف عنها دفاعها عن العثمانيين، وادعاؤها المشاعر النبيلة تجاههم. قدرية حسين، رسائل أنقرة المقدسة، ترجمة: أحمد رفعت (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م)، ١٠.

(٢٩)مدام بيرت جورج جوليس، الوطنية العثمانية، ترجمة: أحمد رفعت (القاهرة: دار الطباعة الفنية، ١٩٢٢م)، ١٨.

(٣٠)أنيس صايغ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦م)، ١٥-١٩.

(٣١)زين العابدين محمد بن أحمد بن إياس (٨٥٢-٩٢٩هـ/١٤٤٨-١٥٢٣م): ولد في القاهرة، وكان من أشهر مؤرخي العصر المملوكي. للمزيد عن ابن إياس راجع: حسين عاصي، ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).

(٣٢)محمد بن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ط٣ (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م)، ٥: ٢٣٣.

(٣٣)أمين الريحاني، النكبات (بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٢٨م)، ٤٥-٩٤.

(٣٤)أحمد العريفي، مقامات حائليَّة (الرياض: مطابع الناشر العربي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م)، ١: ٦٤.

(٣٥)محمد كرد علي، خطط الشام، ط٣ (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣م)، ٣: ٤-٥.

(٣٦)قيس العزاوي، الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلابات ١٩٠٨-١٩١٣م، ترجمة: عاصم عبدربه (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧م)، ١٥٩.

(٣٧)الجويعد، محمد روحي، ١١١-١١٢.

(٣٨)الجويعد، محمد روحي، ١١٢-١١٣.

(٣٩)الهلول، الاتحاديون، ١٩.

(٤٠)سهيلة الريماوي، جمعية العربية الفتاة السريَّة: دراسة وثائقية ١٩٠٩-١٩١٨م (عمَّان: دار مجدلاوي، ١٩٨٨م)، ٣٠-٣١.

(٤١)مذكرات سليمان فيضي، تحقيق: باسل سليمان فيضي، ط٣ (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م)، ٧٦.

(٤٢)الجويعد، محمد روحي، ٢٣١.

(٤٣)جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، ط٨ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ١٧٦.

(٤٤)العزاوي، الدولة العثمانية، ١٥٩.

(٤٥)ساطع الحُصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط٢ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠)، ١٠٦.

(٤٦)خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠م (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م)، ١٦.

(٤٧)توفي سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، وهو سياسي لبناني، تخرج من معهد الدراسات العليا بباريس، وكان أحد أكثر المجاهرين بالمطالبة باستقلال سوريا عن الدولة العثمانية، وأقام في مصر وباريس، وألف عصبة الوطن العربي سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، ومجلة شهرية باسم الاستقلال العربي، كما أصدر صحيفة مصر. الزركلي، الأعلام، ٨: ١٢.

(٤٨)نجيب عازوري، يقظة الأمة العربية، ترجمة: أحمد بوملحم (بيروت: المؤسسة العربية، د.ت)، ٢٢٢.

(٤٩)نورالدين، نشوء القومية العربية، ٥٦.

(٥٠)فيليب خوري، أعيان المدن والقومية العربية، ترجمة: عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٣م)، ٩٤.

(٥١)خوري، أعيان المدن، ٩٤.

(٥٢)مفيدة إبراهيم، عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم (عمَّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٩م)، ١١٩-١٢٠.

(٥٣)قدري قلعجي، جيل الفداء (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م)، ٦٣.

(٥٤)(١٢٨٤-١٣٤٤هـ/١٨٦٧-١٩٢٦م): أديب ومؤرخ وصحافي لبناني، رحل إلى باريس ولندن، وانتهى به المطاف في مصر. أسس صحيفة رجع الصدى ومجلة سركيس، وحرَّر صحيفة البشير، وله من المؤلفات: الندى الرطيب في الغزل، سر مملكة، غرائب

المكتوبجي، تحت رايتين، تاريخ آل لطف الله. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م)، ١: ٧٨٠.

(٥٥)قلعجي، جيل الفداء، ٦٤.

(٥٦)عصمت عبدالقادر، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨-١٩١٤م (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م)، ٧٧.

(٥٧)نادية ياسين، الاتحاديون: دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨م (دمشق: دار عدنان، ٢٠١٤م)، ٣٦٥.

(٥٨)أرنست رامزور، تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح العلي (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة، ١٩٦٠م)، ٣٩.

(٥٩)الداقوقي، صورة الأتراك، ٥٤.

(٦٠)سياسي وقومي عربي ولد في نابلس، ودرس في بيروت وإسطنبول وحصل على شهادة الحقوق من جامعة السوربون في باريس، وهو أحد أهم القوميين العرب، وأحد مؤسسي جمعية العربية الفتاة، وكان له نشاط سياسي بارز خلال فترة حياته، حيث عمل سفيرًا للأردن في مصر، ثم وزيرًا للخارجية الأردنية سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ورئيسًا للجنة القانونية في جامعة الدول العربية من سنة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م حتى وفاته في القاهرة. الزركلي، الأعلام، ٥: ٩٨.

(٦١)مذكرات عوني عبدالهادي، تحقيق: خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢م)، ٢٠.

(٦٢)نعيم اليافي وخليل الموسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني (اللاذقية: دار الحور، ١٩٩٥م)، ١٠-١١.

(٦٣)الهلول، الاتحاديون، ٨-١٠.

(٦٤)راندال بيكر، مملكة الحجاز، ترجمة: صادق الركابي (عمَّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م)، ٦٤.

(٦٥)محمد بيهم، فلسفة التاريخ العثماني (بيروت: المطبعة التجارية، ١٩٥٤م)، ١٩٠.

(٦٦)عضو جميعة عربية سرية، ثورة العرب، ٢٦.

(٦٧)ولد في أدرنة، ودرس في المدرسة العسكرية، بدأ العمل الحكومي في سن الثامنة عشرة حين عمل في البريد، وانتقل في أكثر من عمل، وهو أحد الذين اعْتُقِلوا في العهد الحميدي، وتخصص في القانون في سالونيك، وكان أحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي، وبعد إعلان الدستور بعد الانقلاب العثماني عُيِّن نائبًا في البرلمان، وبعد عام

من الانقلاب عُيِّن وزيرًا للبريد والتلغراف، ثم رُشِّح رئيسًا لجمعية الاتحاد والترقي، وأُغْتِيل على يد أحد الأرمن، لدوره في المذبحة الأرمنية.

(68) Hasan Babacan, Mehmed Talat Paşa (Ankara: Atatürk Kültür, 2005), 6-40; Alpay Kabacalı, "Talat Paşa 'nın Anıları", Türkiye İş Bankası Kültür Yayınlar, 1-4.Baskı (2007), 2-3.

(٦٩)سهيلة الريماوي، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة (عمَّان: جمعية عمال المطابع، ١٩٩٢م)، ٤٣.

(٧٠)العائلة التركية. فارس الخوري، كنز لغات قاموس تركي وفارسي وترجمته بالعربية (بيروت: مطبعة المعارف، ١٨٧٦م)، ٤٤.

(٧١)المملكة التركية. قلعجي، جيل الفداء، ٧١.

(٧٢)ثبات الترك. قلعجي، جيل الفداء، ٧١.

(٧٣)العلم التركي. قلعجي، جيل الفداء، ٧١.

(٧٤)نافح الأتراك إلى صناعة ملاحم أدبية لثقافتهم الطورانية، من خلال استدعاء تاريخ أجدادهم الأوغوزن الذين يعودون نسبًا إليهم وغالب الشعوب التركية التي قدمت من أواسط آسيا، لذلك كانت هنالك شخصيات يرون عظمها بغض النظر عن وثنيتها كجنكيز خان، ويفخرون بتاريخه وتاريخ الأجداد الأول من وثنيي الأتراك، وهذا التوجه ظهر بشكلٍ جليٍّ مع نشر الاتحاديين لقوميتهم الطورانية.

(75) Yasemin Kurtlu and Büşra Koçak, "Oğuz Kağan Destani'nda Hükümdar Tasarimi", A.Ü. Türkiyat Araştırmaları Enstitüsü Dergisi [TAED] 56, ERZURUM (2016), 875-898.

(٧٦)قلعجي، جيل الفداء، ٧١.

(٧٧)قلعجي، جيل الفداء، ٧١-٧٢.

(٧٨)سياسي وصحافي تركي ولد في غاليبولي، كان نائبًا عن مدينة غاليبولي في البرلمان بعد الانقلاب العثماني سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وهو من أشد المعارضين لسياسة عبدالحميد الثاني، وقد ألف روايةً باسم الكابوس تحاكي مدينة إسطنبول في عهد السلطان المستبد، وقد كتب آلاف المقالات والكتب السياسية، ودوَّن كثيرًا من الأحداث من خلال مقالاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، التي ساهم في تأسيس معظمها. موجز دائرة المعارف الإسلامية (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م)، ٥: ١٤٣٠-١٤٣٣.

(٧٩)أسعد داغر، ثورة العرب: مقدماتها أسبابها ونتائجها (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م)، ١٤٧.

(٨٠)اليافي والموسى، نضال العرب، ١٧.

(٨١)الهلول، الاتحاديون، ٢٠.

(٨٢)محمد دروزة، حول الحركة العربية الحديثة (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠م)، ١: ٢٢.

(٨٣)ولد في الموصل بالعراق، وتخرج من المدرسة العسكرية في بغداد، وأراد الالتحاق في الكلية الحربية العثمانية وبعد أن دخلها فُصِلَ منها بحجة عدم تحقيق شرط السن القانونية، ثم اتجه للعمل الحكومي، ومنه اهتم بالقانون. وألف ما يقارب ١١ كتابًا، واهتم بالتعليم باعتباره أساسًا يجب أن تنطلق منه الأمة في نهضتها. للمزيد عن سليمان فيضي الرجوع إلى: حسن عبدالله، "البصرة في مذكرات سليمان فيضي"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العراق، ع.١-٢ (٢٠٠٥).

(٨٤)مذكرات سليمان فيضي، ٧٩-٨٣.

(٨٥)جريدة القبلة، "تتريك القرآن"، ع.٦، السنة الأولى، مكة المكرمة (٣ ذي القعدة ١٣٣٤هـ)، ١-٢.

(٨٦)أنطونيوس، يقظة العرب، ١٧٧.

(٨٧)عضو جمعية عربية سرية، ثورة العرب، ٢٦.

(٨٨)عضو جميعة عربية سرية، ثور العرب، ٢٦.

(٨٩)الهلول، الاتحاديون، ١٩-٢٠.

(٩٠)دروزة، حول الحركة العربية، ١: ٢٢.

(٩١)خوري، أعيان المدن، ٩٥.

(٩٢)عبدالقادر، دور النواب العرب، ٨٩-٩٠.

(٩٣)عبدالقادر، دور النواب العرب، ٩٢-٩٣.

(٩٤)اليافي والموسى، نضال العرب، ١٧.

(٩٥)أمين سعيد، أسرار الثورة العربية الكبرى (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت)، ٢٨-٢٩.

(٩٦)مذكرات سليمان فيضي، ٩٦.

(٩٧)مذكرات سليمان فيضي، ٩٦.

(٩٨)رجل دين تركي عُنصري، عُرف بأنه اتحادي حتى النخاع، وله كتاب بعنوان قوم جديد يسيء فيه للعرب والدين الإسلامي مقابل الرفع من الجنس التركي، وكان يقوم بتدريس كتابه للناس في جامع آياصوفيا بعد الانقلاب العثماني، ومبعث كرهه للعرب ما حدث

بينه وبين الشيخ سليم العطار في دمشق حين طرده العطَّار بعد أن صفعه لسوء سريرته وقلة ذوقه وحياه، وتلقفه الاتحاديون لتحقيق دعايتهم الطورانية والإساءة للعرب. جريدة القبلة، "من هو عبيدالله صاحب كتاب قوم جديد"، ع.٥، السنة الأولى، مكة المكرمة (٢٩ شوال ١٣٣٤هـ)، ٢.

(٩٩)مذكرات سليمان فيضي، ٩٦-٩٧.

(١٠٠) اليافي والموسى، نضال العرب، ١٨.

(١٠١) الهلول، الاتحاديون، ٩-١٠.

(١٠٢) محمد عفيفي، عرب وعثمانيون (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م)، ٧-١٦.

(١٠٣) أحد الضباط العرب في الجيش العثماني، وأسرته ذات أصول عراقية، وهي من الأسر التي انتقلت إلى مصر، وولد عزيز في القاهرة، ودرس فيها إلى المرحلة الثانوية، ثم انتقل للكلية العسكرية في إسطنبول، ويُعد أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي قبل الانقلاب العثماني، وحين ظهرت نوايا الاتحاديين ضد العرب؛ كان له دورٌ بارز في نشاط القومية العربية، وسبق أن حُكم عليه بالإعدام مرتين من قبل حكومة الاتحاديين، غير أن هذا الحكم لم ينفذ. عبدالرزاق الحسيني، الثورة العراقية الكبرى (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٣م)، ٤٧.

(١٠٤) كان للجمعية طقوس سرية، وأسست لها فروعًا في الولايات العربية، وكان نشاطها كبيرًا في السنة الأولى من إنشائها، لكنها بعد ذلك أنهيت من الأعضاء أنفسهم، لشكهم في أن أحد أعضائها خائن. أنطونيوس، يقظة العرب، ١٨٤-١٨٦.

(١٠٥) تضاربت الآراء حول نشأة العربية الفتاة، حيث إن أحد أعضائها أحمد قدري يقول بإنها أنشئت سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، وآخرون مثل عزت دروزة والأمير مصطفى الشهابي يقولون سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، بينما يرى أحمد عزت الأعظمي أنها أنشئت في باريس سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م، وعلى الرغم من أن جميع هؤلاء أعضاء في الجمعية إلا أن رأي الأعظمي قد يكون أدق عطفًا على نشاط الجمعية الذي بدأ عمليًّا في سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. الريماوي، جمعية العربية الفتاة، ٦٥.

(١٠٦) سالم أبودلة، "موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٠٨-١٩٣٣م"، مجلة أهل البيت بكربلاء، ع.١٥ (شباط ٢٠١٤م)، ٢٢١.

(١٠٧) الهلول، الاتحاديون، ١٣.

(١٠٨) لبناني ولد في بعلبك، تعلم في دمشق ثم المدرسة الملكية في إسطنبول وأتم دراسته في جامعة السوربون ومدرسة العلوم السياسية في باريس، ويُعد أحد مؤسسي العربية

الفتاة، وغالبًا يُشار إلى أنه هو مؤسسها، انتقل مع الملك فيصل بن الحسين إلى العراق، وتدرج حتى أصبح وزيرًا لمالية العراق حيث أُغتيل في مكتبه بالوزارة سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م. محمد بوذينة، أحداث العالم في القرن العشرين ١٩٤٠-١٩٤٩م (تونس: منشورات بوذينة، ٢٠٠١م)، ٥: ١٠.

(١٠٩) طبيب سوري ولد وتوفي في دمشق، وفيها كانت بداية تعليمه، ثم تعلَّم في إسطنبول فباريس، وهو أحد المؤسسين الأوائل لجمعية العربية الفتاة، وكان يرمز له في الجمعية بالرمز (١٠٧ج)، وهو ممن لحق بالأمير فيصل بن الحسين بالعقبة قبل دخوله دمشق، وكان طبيبًا خاصًّا له ومستشاره، وأصبح أستاذًا للطب في جامعة دمشق سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابيًّا، ثم عُيِّنَ قنصلاً للعراق في مصر سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م، وأسس المفوضية العراقية في باريس سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م، ثم عاد إلى دمشق أواخر حياته وتوفي فيها. قدري، مذكراتي عن الثورة، ٢٩٢.

(١١٠) مذكرات عوني عبدالهادي، ٤٢؛ الريماوي، جمعية العربية الفتاة، ٦٥-٦٦.

(١١١) قدري، مذكراتي عن الثورة، ١٢.

(١١٢) أشهرهم: رفيق التميمي، محمد محمصاني، عبدالغني العريسي، صري الخوجة، توفيق الناطور، جميل مردم بك، صبحي الحسيبي، الأمير مصطفى الشهابي، توفيق فايد، إبراهيم حيدر. قدري، مذكراتي عن الثورة، ١٢.

(١١٣) بيكر، مملكة الحجاز، ٦٥.

(١١٤) أحمد عبدالرحيم، في أصول التاريخ العثماني، ط٣ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣م)، ٢٧٥.

(١١٥) العزاوي، الدولة العثمانية، ١٦٣.

(١١٦) صايغ، الهاشميون، ٢٢.

(١١٧) ولد في البصرة من نسبٍ شريف ينتهي للحسين بن علي رضي الله عنه، وقد اهتم والده بتعليمه، حيث خصص له معلمين لأهم اللغات في عصره، فتعلم التركية والفارسية، والإنجليزية والهندية، وذلك بشكلٍ مُتقن، عينته الدولة العثمانية متصرفًا للأحساء سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، واستقال من المتصرفية سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م، وعُين في شورى الدولة في إسطنبول، وبعد إعلان الدستور عُيِّن نائبًا في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان)، عُرف بتوجهه العروبي، لذلك نفاه الإنجليز سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م إلى بومباي لمدة خمس سنوات، وعاد للعراق خلال ثورة العشرين

وكان أول وزيرٍ للداخلية في العراق، وكان منافسًا للملك فيصل بن الحسين الأول على عرش العراق، ما دعا الإنجليز لنفيه من جديد عن العراق ولم يعُد إليها إلا سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، وساند الملك فيصل خلال وجوده، حتى مرض وتوفي خلال إجراء عملية له في ميونخ الألمانية سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م. للمزيد حول طالب النقيب الرجوع إلى: حسين الشلاه، طالب باشا النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢م).

(١١٨) مذكرات سليمان فيضي، ١٠٠.

(١١٩) سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩١٨م (عمَّان: د.ن، ١٩٨٩م)، ٢٨-٣٦.

(١٢٠) أمين سعيد، الثورة العربية الكبرى النضال بين العرب والترك (القاهرة: مطبعة عيسى البابي، ج.ت)، ١: ٦٠-٦٣؛ مذكرات جمال باشا السَّفاح، ترجمة: علي شكري، تحقيق: عبدالمجيد محمود (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٤م)، ٢٥١-٢٨٣.

المراجع

❖ **المذكرات الشخصية:**

(١) **أحمد قدري**، الطبعة الثانية (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٣م).

(٢) **جمال باشا السَّفاح**، ترجمة: علي شكري، تحقيق: عبدالمجيد محمود (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٤م).

(٣) **سليمان فيضي**، تحقيق: باسل سليمان فيضي، الطبعة الثالثة (بيروت: دار الساقي، ١٩٩٨م).

(٤) **عبدالحميد الثاني**، ترجمة: محمد حرب، الطبعة الخامسة (دمشق: دار القلم، ٢٠١٢م).

(٥) **عوني عبدالهادي**، تحقيق: خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢م).

❖ **المصادر والمراجع العربية:**

(٦) إبراهيم الداقوقي، **صورة الأتراك لدى العرب** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١م).

(٧) أحمد عبدالرحيم، **في أصول التاريخ العثماني**، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣م).

(٨) أحمد العريفي، **مقامات حائليَّة** (الرياض: مطابع الناشر العربي، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

(٩) أسعد داغر، **ثورة العرب مقدماتها: أسبابها ونتائجها** (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م).

(١٠) أمين الريحاني، **النكبات** (بيروت: المطبعة العلمية، ١٩٢٨م).

(١١) أمين سعيد، **أسرار الثورة العربية الكبرى** (بيروت: دار الكاتب العربي، د.ت).

(١٢) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: النضال بين العرب والترك** (القاهرة: مطبعة عيسى البابي، ج.ت).

(١٣) أنيس صايغ، **الهاشميون والثورة العربية الكبرى** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٦م).

(١٤) أنيس محمود، **السلطان عبدالحميد الثاني والأطماع الصهيونية في فلسطين ١٨٧٦-١٩٠٩م** (عمَّان: أروقة للدراسات والنشر، ٢٠١٤م).

(١٥) جبر الهلول، **الاتحاديون والجمعيات السرية العربية ١٩٠٨-١٩١٦م** (ألمانيا: نور للنشر، ٢٠١٧م).

(١٦) جريدة القبلة، "**تتريك القرآن**"، العدد السادس، السنة الأولى، مكة المكرمة (٣ ذي القعدة ١٣٣٤هـ).

(١٧) جريدة القبلة، "**من هو عبيدالله صاحب كتاب قوم جديد**"، العدد الخامس، السنة الأولى، مكة المكرمة (٢٩ شوال ١٣٣٤هـ)، ٢.

(١٨) جورجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر** (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٢م).

(١٩) حسن عبدالله، "**البصرة في مذكرات سليمان فيضي**"، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، العراق، العددان الأول والثاني (٢٠٠٥).

(٢٠) حسين الشلاه، **طالب باشا: النقيب البصري ودوره في تاريخ العراق السياسي الحديث** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٢م).

(٢١) حسين عاصي، **ابن إياس مؤرخ الفتح العثماني لمصر** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م).

(٢٢) خير الدين الزركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، الطبعة الخامسة عشرة (بيروت: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م).

(٢٣) خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠م** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م).

(٢٤) زين نورالدين، **نشوء القومية العربية**، الطبعة الرابعة (بيروت: دار النهار، ١٩٨٦م).

(٢٥) ساطع الحُصري، **البلاد العربية والدولة العثمانية**، الطبعة الثانية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠).

(٢٦) سالم أبودلة، "**موقف الملك فيصل الأول من الثورة العربية والقضية الفلسطينية ١٩٠٨-١٩٣٣م**"، مجلة أهل البيت بكربلاء، العدد الخامس عشر (شباط ٢٠١٤م).

(٢٧) سعيد الغامدي، **موقف المعارضة في المشرق العربي من حكم السلطان عبدالحميد الثاني (الشام ومصر) ١٢٩٣-١٣٢٧هـ/١٨٧٦-١٩٠٩م** (الرياض: مكتبة التوبة، ١٩٩٢م).

(٢٨) سليمان البستاني، **الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده**، تحقيق: خالد زيادة (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١١م).

(٢٩) سليمان موسى، **الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩١٨م** (عمَّان: د.ن، ١٩٨٩م).

(٣٠) سهيلة الريماوي، **الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة** (عمَّان: جمعية عمال المطابع، ١٩٩٢م).

(٣١) سهيلة الريماوي، **جمعية العربية الفتاة السريَّة – دراسة وثائقية ١٩٠٩–١٩١٨م** (عمَّان: دار مجدلاوي، ١٩٨٨م).

(٣٢) طلال الجويعد، **محمد روحي الخالدي ١٨٦٤–١٩١٣م ونظرته للإصلاحات العثمانية** (الكويت: مكتبة ومركز فهد الديوس للتراث الأدبي، ٢٠١٢م).

(٣٣) عبدالرزاق الحسيني، **الثورة العراقية الكبرى** (بيروت: دار الرافدين، ٢٠١٣م).

(٣٤) عصمت عبدالقادر، **دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨–١٩١٤م** (بيروت: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٦م).

(٣٥) عضو جمعية عربية سريَّة (مجهول)، **ثورة العرب الكبرى ١٩١٦م** (حَمَاة: مطابع أبي الفداء، ١٩١٦م).

(٣٦) عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين** (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).

(٣٧) فارس الخوري، **كنز لغات قاموس تركي وفارسي وترجمته بالعربية** (بيروت: مطبعة المعارف، ١٨٧٦م).

(٣٨) قدري قلعجي، **جيل الفداء** (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م).

(٣٩) قدري قلعجي، **مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين**، الطبعة الثانية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥١م).

(٤٠) ماري باتريك، **سلاطين بني عثمان** (بيروت: مؤسسة عزالدين، ١٩٨٦م).

(٤١) محمد بن إياس، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، **تحقيق: محمد مصطفى**، الطبعة الثالثة (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٨م).

(٤٢) محمد بوذينة، **أحداث العالم في القرن العشرين ١٩٤٠-١٩٤٩م** (تونس: منشورات بوذينة، ٢٠٠١م).

(٤٣) محمد بيهم، **فلسفة التاريخ العثماني** (بيروت: المطبعة التجارية، ١٩٥٤م).

(٤٤) محمد دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة** (صيدا: المكتبة العصرية، ١٩٥٠م).

(٤٥) محمد عصفور سليمان، "**العثمانيون الجدد: أفكارهم الإصلاحية ودور نامق كمال في بلورتها**"، مجلة ديالى، جامعة ديالى بالعراق، العدد التاسع والأربعون (٢٠١١م).

(٤٦) محمد عفيفي، **عرب وعثمانيون** (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م).

(٤٧) محمد كرد علي، **خطط الشام**، الطبعة الثالثة (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣م).

(٤٨) مصطفى البارودي، **الفرد والدولة في الفكر السياسي لما بعد الثورة الفرنسية** (دمشق: مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٥م).

(٤٩) مفيدة إبراهيم، **عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم** (عمَّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٩م).

(٥٠) **موجز دائرة المعارف الإسلامية** (الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨م).

(٥١) نادية ياسين، **الاتحاديون: دراسة تاريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية أواخر القرن التاسع عشر ١٩٠٨م** (دمشق: دار عدنان، ٢٠١٤م).

(٥٢) نعيم اليافي وخليل الموسى، **نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني** (اللاذقية: دار الحور، ١٩٩٥م).

(٥٣) وجيه كوثراني، **الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠م** (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦م).

❖ **المصادر والمراجع المُعرَّبة:**

(٥٤) أرنست رامزور، **تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨م**، ترجمة: صالح العلي (بيروت: مؤسسة فرنكلين للطباعة، ١٩٦٠م).

(٥٥) إريك هوبزباوم، **عصر الثورة - أوربا ١٧٨٩-١٨٤٨م**، ترجمة: فايز الصبَّاغ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م).

(٥٦) ألبير سوبول، **تاريخ الثورة الفرنسية**، ترجمة: جورج كوسى، الطبعة الرابعة (بيروت: منشورات بحر المتوسط، ١٩٨٩م).

(٥٧) جورج أنطونيوس، **يقظة العرب**، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، الطبعة الثامنة (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

(٥٨) راندال بيكر، **مملكة الحجاز**، ترجمة: صادق الركابي (عمَّان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م).

(٥٩) فيليب خوري، **أعيان المدن والقومية العربية**، ترجمة: عفيف الرزاز (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٣م).

(٦٠) قدرية حسين، **رسائل أنقرة المقدسة**، ترجمة: أحمد رفعت (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م).

(٦١) قيس العزاوي، **الدولة العثمانية من الخلافة إلى الانقلابات ١٩٠٨-١٩١٣م**، ترجمة: عاصم عبدربه (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٧م).

(٦٢) مدام بيرت جورج جوليس، **الوطنية العثمانية**، ترجمة: أحمد رفعت (القاهرة: دار الطباعة الفنية، ١٩٢٢م).

(٦٣) نجيب عازوري، **يقظة الأمة العربية**، ترجمة: أحمد بوملحم (بيروت: المؤسسة العربية، د.ت).

❖ **المصادر والمراجع الأجنبية (إنجليزية، تركيَّة):**

Alpay Kabacalı, "**Talat Paşa 'nın Anıları**", Türkiye İş Bankası Kültür Yayınlar, 1-4.Baskı (2007).

(64) Ernest Barker, **The Submerged nationalities of the German Empire** (London: Oxford university press, 1915).

(65) Hasan Babacan, **Mehmed Talat Paşa** (Ankara: Atatürk Kültür, 2005).

(66) Israel Zangwill, **The principle of nationalities** (London: Watts & CO., 1917).

(67) James Bonwick, **Who are the Irish** (London: David Bogue, 1880).

(68) William Moore, **The clash a study in nationalities** (London: J. M. Dent & Sons limited, 1918).

(69) Yasemin Kurtlu and Büşra Koçak, "**Oğuz Kağan Destani'nda Hükümdar Tasarimi**", A.Ü. Türkiyat Araştırmaları Enstitüsü Dergisi [TAED] 56, ERZURUM (2016).